وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....
رقم التسجيل: 13/MD12/203

النقد السوسيولوجي بين النظرية والتطبيق عند حميد لحمداني

من خلال كتابه "الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي دراسة بنيوية تكوينية"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي فرع: أدب عربي تخصص: أدب عربي حديث

إعداد الطالبة:
-نادية لخذاري

إشراف الدكتور:
نور الدين سيليني

تاريخ المناقشة: يوم 2015/06/02

أعضاء لجنة المناقشة

– أ. عمر عليوي ..... رئيسا
– د.نور الدين سيليني ..... مشرفا
– أ. أحمد أمين بوضياف ..... ممتحنا

السنة الجامعية: 1435-1436 هـ /2014- 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة النمل: 19)

فالشكر لله على فضله أن مهّد لي الدرب وذلّل الصعب لإتمام هذا البحث، والشكر لله أن أمدّني بالصبر والإرادة، وفتح عليّ مغاليق الفهم وسخّر أسباب النجاح والعلم .

ثم الشكر للأستاذ المشرف: "**نور الدين سيليني**"، تقديراً لجهوده المبذولة ودعمه المتواصل، في أن توّجني بثقته العلمية العظيمة وأخلاقه السامية ، فكان الدَّين ثقيلاً ، والتَّكليف كبيراً لأكون في مستوى هذا التشريف الأكبر . فجزاه الله عني أفضل جزاء .

كما لا يفوتني شكر الأستاذ "أحمد أمين بوضياف" الذي أفادني بتوجيهاته، ولم يبخل عليّ بتقديم النصح، فله مني كل تقدير.

والشكر موصول للأستاذ "لعموري شوقارة"

الشكر يُوجَّه إلى قناديل العلم، من أنار بفكره وأجاد بعلمه، إلى أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة المسيلة، فهذا البحث هو ثمرة طيبة لجهودكم .

شكر لكل من ساهم في ميلاد هذا العمل من قريب أو من بعيد .

نادية

مقدمة

تعدّدت مناهج الدراسة النقدية للأدب في محاولة للقبض بالمعنى المتخفي بين مفردات النص وعباراته، من مناهج سياقية استمدت مرجعياتها من حقل العلوم الإنسانية (المنهج التاريخي، المنهج النفسي، المنهج الاجتماعي)، ومناهج نسقية تسعى لعزل النص الأدبي عن سياقه الخارجي، ومناهج أخرى حاولت التوفيق بين هذا وذاك؛ فكانت سوسيولوجيا الأدب التي تسعى إلى دمج النظرية السوسيولوجية بالنظرية الأدبية، واتجه أصحابها نحو دراسة العلاقة بين الواقع الاجتماعي والأثر الأدبي أو الإبداعي، عن طريق تحليل البنى الأدبية، والبنى الاجتماعية، لخلق صورة من التكامل بين العلم والفن.

اتضحت هذه الرؤية جلياً في أبحاث الناقد لوسيان غولدمان، الذي أخصب مقولات أستاذه لوكاتش ليؤسس لمنهج نقدي سماه: "المنهج البنيوي التكويني". والذي انتقل إلى النقد العربي تأثُّراً ومثاقفةً، ضمن جملة المناهج الغربية الحديثة التي وردت إلى النقد العربي الحديث.

مثَّل انتشار المنهج البنيوي التكويني حافزاً قوياً دفع رواد النقد العربي وبالخصوص النقاد المغربيين إلى تمثل مقولاته ومفاهيمه تنظيراً وتطبيقاً، واستثمارها في دراسات نقدية عربية تهدف إلى ركوب موجة التجديد، أو بهدف نقل تجربة نقدية والاستفادة منها. وتنوع الدرس النقدي العربي للبنيوية التكوينية بتنوع الحقول الأدبية، فكان بعضها يهتم بالشعر وبعضها يهتم بالرواية، منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية) لمحمد بنيس، (الرواية المغربية) لعبد الكبير الخطيبي، (الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي) لسعيد علوش، (المصطلح المشترك) لإدريس الناقوري، حميد لحمداني (نحو تحليل سوسيو بنائي)...إلخ.

يتفاوت هؤلاء النقاد في درجة توظيف المفاهيم الإجرائية للمنهج البنيوي التكويني، فبعضهم يدقق في ذلك، ويصرح به انطلاقا من العنوان، كما هو شأن الناقد المغربي **حميد لحمداني** الذي نستهدفه بدراستنا هذه الموسومة بـ: "**النقد السوسيولوجي بين النظرية والتطبيق عند حميد لحمداني من خلال كتابه: "الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)**".

أما البعض الآخر فلا يشير لمنهج دراسته إلا عند قراءة العمل النقدي، ولأن العناوين كثيراً ما تكون مُضلِّلة، كان الأجدر بالقارئ أن يسعى إلى البحث عن الحقيقة الكامنة خلفها، فدفعتنا هذه الملاحظة إلى محاولة تلمس تنظيرات البنيوية التكوينية وتطبيقاتها عند **حميد لحمداني** من خلال كتابه المذكور سابقاً، كما أن الموضوع حظي باهتمامي الخاص منذ الصفوف الدراسية التي تلقيتها على يد الدكتور "**نور الدين سيليني**"، الذي غرس فيّ فضولاً كبيراً للبحث في مجال الدراسات النقدية الروائية. كما أن مجال الاختصاص – نقد أدبي حديث – يُلحّ على مثل هذا النوع من الموضوعات. وفضَّلنا أن تتوجه هذه الدراسة بالبحث في النقد العربي المغربي نظراً لتمثُّله المنهج البنيوي التكويني؛ نظرية وتطبيقاً منذ سبعينيات القرن الماضي.

من هذا المنطلق توجَّهت الدراسة نحو تسجيل عديد الأسئلة منها: ما طبيعة العلاقة القائمة بين الأدب عموماً والرواية على وجه الخصوص بالمجتمع؟ وما هي أهم الاتجاهات النقدية السوسيولوجية التي رمت إلى تحديد هذه العلاقة والتنظير للجنس الروائي وفق تلك الرؤية؟ كيف تشكلت الرؤية الروائية المغربية للواقع الاجتماعي؟ وإذا كان لحمداني قد صرَّح على اعتماده المنهج البنيوي التكويني، فإلى أي حدّ وُفق في التزام مبادئ ذلك المنهج؟

وللإحاطة بجوانب الموضوع، سار البحث على خطة تشتمل على فصلين أساسيين:

الفصل الأول: تمَّ من خلاله دراسة النظريات النقدية الأولى التي اشتغلت على تعميق العلاقة بين الأدب والمجتمع، تمهيداً للوقوف على أهم الجهود في نشأة النقد السوسيولوجي وتطوره، بداية بجورج لوكاتش، ثم لوسيان غولدمان، فميخائيل باختين، ثم بيير زيما.

الفصل الثاني: يحتوي على تقديم الكتاب محل الدراسة، ليذهب البحث إلى استنباط مصادر المنهج البنيوي التكويني وأسسه عند حميد لحمداني، كما تضمن الفصل على دراسة للمنطلقات المنهجية والإجراءات التطبيقية التي اتبعها الناقد في نقده للرواية المغربية.

خاتمة البحث تمَّ فيها تسجيل أهم النتائج المتوصَّل إليها من خلال الدراسة لكتاب "الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية).

وارتضينا الاستعانة بمناهج لاستنطاق الظاهرة المدروسة منها:

-المنهج التاريخي: الذي ساعدنا في رصد أهم التحولات التي مر بها النقد السوسيولوجي.

- المنهج الوصفي التحليلي: الذي اعتمدنا عليه طوال مسيرة هذا البحث.

استعداداً للانطلاق في هذا البحث، كان لزاماً علينا التسلُّح بمجموعة من المصادر والمراجع التي مثَّلت بالنسبة لنا إضاءة فكرية للطريق الذي نهجناه في بحثنا، أولها كان مدوَّنة البحث: كتاب (الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية) لحميد لحمداني، وكتب أخرى تُنسب له: (النقد الروائي والإيديولوجيا، من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي)، (الفكر النقدي الأدبي المعاصر)، وكتب مترجمة لمؤلفات غولدمان مثل كتابه: (الإله الخفي)، و(مقدمات في سوسيولوجيا الرواية)، (دراسات في الواقعية) لجورج لوكاتش، (الخطاب الروائي لميخائيل باختين)، (الجمالية الماركسية) لهنري أرفون، (النقد الاجتماعي، نحو علم اجتماع للنص الأدبي) لبيير زيما، (ميخائيل باختين والمبدأ الحواري) لتزفيطان تودوروف، ومراجع عربية نذكر بعضها: (تحليل الخطاب الأدبي في ضوء المناهج النقدية الحديثة) لمحمد عزام، (في البنيوية التكوينية) لجمال شحيّد، (تأصيل النص، المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان) لمحمد نديم خشفة، (موسوعة النظريات الأدبية) نبيل راغب، (نظريات معاصرة) لجابر عصفور...إلخ،

ومجموعة من الدراسات والبحوث الأكاديمية، أهمها: (النقد الجديد والنص الروائي العربي) لعمر عيلان.

ومجموعة أخرى من المجلات: مجلة علامات، مجلة عالم الفكر، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، ومجلات إلكترونية: مجلة فكر ونقد، مجلة المظلة للإبداع والنقد.

لأن كل مرام تحف طريق الوصول إليه صعوبات تزيد الباحث تشبثاً وصبراً، فقد واجهتنا بعض العراقيل، تمثَّلت في صعوبة الحصول على المصادر الأجنبية بلغتها الأصلية، وعدم توفرها في مكتبة الجامعة.

لا يسعني في الختام إلا أن أوجه كل عبارات الشكر والتقدير للدكتور المشرف: **نور الدين سيليني** لصبره، وتوجيهاته القيمة، وتواضعه، وأن شرفني بإشرافه على رسالة تخرجي، كما أتقدم بالشكر للأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذا البحث وإبداء الرأي، ولا شك في أن ما سيقدموه من نقد وتصويبات ستساهم في معالجة مواضع الخلل في البحث، ويتوجوه بتاج العلم والنجاح.

الفصل الأول

النقد السوسيولوجي النشأة والتطور

تمهيد.

I. جورج لوكاتش وسوسيولوجيا الرواية.

II. لوسيان غولدمان والبنيوية التكوينية.

III. ميخائيل باختين والمبدأ الحواري واللغة الاجتماعية.

IV. بيير فاليري زيما وسوسيولوجيا النص.

تمهيد:

إن الأدب وثيق الصلة في علاقته بالمجتمع، فهي علاقة جوهرية وقديمة قدم النظريات الأولى؛ التي حاولت اكتشاف كنه الأدب والقبض بنواميس تشكيله، بداية بنظرية المحاكاة التي طرحها أفلاطون وطوّرها أرسطو، والتي تمثلت رؤيتهما في أن الفن محاكاة للطبيعة والواقع. ثم تحولت الرؤية الميتافيزيقية للأدب والفن إلى رؤية عقلانية واقعية، فجاءت الجدلية الهيجلية لتفنِّد ما سبق، ورأت أن "**الفن ليس تقليداً أو محاكاة للطبيعة، بل هو محاولة للكشف عن المضمون الباطن للحقيقة.**"[1] فحرَّرت الفكر الإنساني لتحثه على البحث العقلي والتحرر من تفسير الأشياء بالماورائيات.

توالت جهود المنظِّرين في ربط الأدب بالواقع، ففي القرن التاسع عشر ميلادي ظهرت دراسات جادة في هذا المجال من أهمها جهود الكاتبة الروائية الفرنسية "**مدام دوستايل (1766م–1817م)**"[2] التي ربطت الأدب في سيرورته بالمجتمع وتحولاته، فالأدب من منظورها "**يتغير بتغير المجتمعات، ويتطوّر حسب تطوّر الأوضاع الاجتماعية.**"[3]

وأولت اهتمامها في دراسة الأدب "**بتفسير الإنتاج الأدبي في ضوء تأثره بالنظم الاجتماعية والالتزامات القانونية والشرعية الدينية، وضروب العادات والتقاليد المؤثرة في تشكيل الذوق وتوجيه الفكر.**"[4]

---

[1] كامل محمد محمد عويضة: هيجل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م، ص:127.

[2] آزاده منتظرى، ومحمد خقاني، ومنصورة زركوب: النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره، مجلة إضاءات نقدية، العدد: 06، السنة: 02، حزيران 2012م، ص: 161.

[3] المرجع نفسه، ص: 161.

[4] صلاح رزق: أدبية النص (محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي)، دار غريب، القاهرة، 2002م، ص: 177.

ثم تأتي نظرية **هيبوليت تين (1828م – 1893م)**، الذي بنى أسسها على المحاور الثلاثة: الجنس، والبيئة، والعصر (اللحظة التاريخية)، "**فيؤكد على تأثير العوامل الطبيعية والاجتماعية وكذا العوامل النفسية على الجنس البشري. فالعمل الأدبي في نظره ليس مجرد نوع من عبث الخيال الفردي ولا هو بالنزوة المعزولة لذهن مستثار، ولكنه نقل للتقاليد المعاصرة، وتعبير عن عقل من نوع ما.**"[1]

كان للفكر الماركسي دور بارز في إثراء الدرس النقدي، في محاولة لدراسة علاقة التأثير والتأثر بين الأدب والمجتمع، وإدراج الأول ضمن السيرورة الاجتماعية والتاريخية؛ "**حيث لا تفسر أعمال الإنسان بمعزل عن الصراع الطبقي والبناء التحتي الاقتصادي.**"[2] لذا يُقيم كارل ماركس رؤيته على النمط الجدلي في علاقة الأدب بالمجتمع من خلال البنية الفوقية والبنية التحتية، فيجعل الأدب ضمن البنية الفوقية التي "**تحكمها مقومات البنية التحتية وعلى رأسها العلاقة الاجتماعية في واقع تاريخي واجتماعي معينين.**"[3]

فيكون الأدب وفق الفلسفة الماركسية تعبير عن الواقع والصراعات الكامنة فيه؛ باعتبار أن المجتمع يقوم على التعارض الطبقي الذي يحقق التطور التاريخي والاجتماعي.

مثَّلت كل التنظيرات السابق ذكرها اتجاهات نقدية نهجت في دراستها للنص الأدبي نهج القراءة السياقية، أي دراسة النص من الخارج، فقد استمدت مرجعيتها من حقل علم الاجتماع. والتي تقابلها دراسات نقدية تقارب النص الأدبي من حيث هو بنية لغوية تنأى بنفسها عن كل مؤثر خارجي، تأتي في مقدمتها البنيوية التي تعتمد في منهجها النقدي على ألسنية **دي سوسير (1857م–1913م)**،

---

[1] صلاح رزق: أدبية النص، ص: 178.

[2] أحمد استيرو: علم الاجتماع والنقد الأدبي، مجلة علامات، جدة، المملكة العربية السعودية، العدد: 39، (د.ت)، ص: 151.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص: 151.

والنتائج التي توصَّل إليها الشكلانيون الروس، فتوجَّه أصحابها إلى دراسة "**الآثار نفسها لا ظروفها الخارجية التي أدَّت إلى إنتاجها.**"[1]

يشير **عبد العزيز حمودة** إلى أن جوهر البنيوية الأدبية هو التركيز "**على أدبية الأدب وليس على وظيفة الأدب أو معنى النص...وعلى الناقد البنيوي أن يدرس علاقات الوحدات والبنى الصغيرة بعضها ببعض داخل النص، في محاولة للوصول إلى تحديد للنظام أو البناء الكلي الذي يجعل النص موضوع الدراسة أدباً.**"[2]

على الرغم من كل ما قدّمه التحليل البنيوي من "**ضبط الآليات التي تحكم صناعة الأدب، والكشف عن البنيات التي تنظِّم اشتغاله وتداوله وتحولاته. لكن اكتفاءه بالتحليل المحايث الذي يجعل النص بنية لغوية مكتفية بذاتها معزولة عن إطارها المرجعي، جعله عرضة للإتهام بالقصور.**"[3]

لتذهب أصوات نقدية إلى جعل الدراسة الأدبية أكثر انفتاحاً، بمزاوجة الداخل والخارج، وجمع السياق بالنسق، لينتج عن ذلك دراسات تؤسس لمنهج "**يمزج بين العالم الداخلي للنص والبنية الاجتماعية الشاملة من حول النص. وبالتالي تتداخل القيم الجمالية مع القيم الاجتماعية في توظيف الأدوات النقدية التي يتعامل بها الناقد مع النص.**"[4]

فكانت سوسيولوجيا الأدب التي أثرت مجال الدراسة الأدبية والنقدية للنصوص الأدبية وبخاصة النص الروائي. منها أبحاث كل من جورج لوكاتش وتلميذه لوسيان غولدمان في مجال البنيوية التكوينية التي طرحت "**فهماً جديداً يكسر حدود الشكلية ويفتح مغاليقها على الواقع والصراع في آن،**

---

[1] إبراهيم عبد العزيز السّمري: إتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربي، القاهرة، ط1، 2011م، ص: 199.

[2] عبد العزيز حمودة: المرايا المحدَّبة (من البنيوية إلى التفكيكية)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998م، ص: 159.

[3] محمد مريني: خطاب ما بعد البنيوية في النقد المغربي الحديث (في التنظير والإنجاز)، عالم الفكر، الكويت، العدد: 04، المجلد: 35، أبريل-يونيو 2007م، ص:137.

[4] صلاح رزق: أدبية النص (محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي)، ص: 179.

ويُعيد للأذهان النقد الماركسي في ثوب مُبَنْين هذه المرة."[1] كما لا ننسى جهود كل من باختين، وبيير زيما في بناء معالم سوسيولوجيا النص الروائي.

سنأتي في هذا الفصل على ذكر جهود هؤلاء في تعميق العلاقة بين الأدب والمجتمع، والتأسيس لمناهج نقدية تعاين النص الأدبي والروائي في إطار هذه العلاقة، الأمر الذي ساهم في تنوع اتجاهات النقد السوسيولوجي للأدب وثرائه.

[1] حبيب مونسي: نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي (دراسة في المناهج)، دار الأديب، وهران، الجزائر، 2007م، ص: 173.

I. جورج لوكاتش وسوسيولوجيا الرواية:

وُفّق **جورج لوكاتش** George Lukacs (1885م -1971م)[1] في التوفيق بين منهجين فلسفيين، الأول تمثل في تبني المنطق الهيجلي الظاهراتي والذي كان في الفترة ما قبل الستالينية، وظهر في مؤلفاته: (الروح والأشكال) (1911م)، (نظرية الرواية) (1920م)، (التاريخ والوعي الطبقي) (1923م). وفي الفترة الستالينية أصدر كتاباته حول بلزاك والواقعية الفرنسية، والرواية التاريخية، والتي وُسمت بالمادية الجدلية الماركسية.

هذا المزج سمح لهذا الناقد من إنتاج مفهوم الجمالية الماركسية، فبعد أن كان النقد الاجتماعي للأدب قائم على النظرية الانعكاسية؛ التي ترى أن "**الأدب والفن هما مرآة الحياة الاجتماعية.**"[2] أي أن الأدب يتموقع في البنية الفوقية للمجتمع. وبمعنى آخر "**اعتباره شيئاً لاحقاً للمراحل الاجتماعية التي يعكسها، وهذا يعني إهمال دور الأدب بالنسبة لمستقبل المراحل التي يعمل على عكسها.**"[3]

في حين يبتعد **لوكاتش** في نظرته حول العلاقة القائمة بين الأدب والمجتمع عن فكرة الانعكاس الآلي، فهو يرى أن "**الانعكاس ليس آلياً وليس جماعياً، والقيم الثقافية للمجتمع لا تلغي القيم الفردية للإنسان. لأن حقيقة الإبداع الأدبي لا تصل إلى مستواها الأمثل، إلا إذا تجسدت منها القيم الفردية والجماعية في آن واحد.**"[4] فالعمل الروائي يتميز بأن له شكل تخيلي يمر عبر شخصية المبدع الذي يساهم بدوره في ترك بصمته الإبداعية الخاصة على هذا النتاج الأدبي.

---

[1] حميد لحمداني: الفكر النقدي الأدبي المعاصر (مناهج ونظريات ومواقف)، مطبعة انفو-يرانت، فاس، المغرب، ط3، 2014م، ص: 68.

[2] المرجع نفسه، ص: 66.

[3] المرجع نفسه، ص: 66.

[4] (بتصرف)، عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي (دراسة مقارنة للنقد الجديد في فرنسا وأثره في النقد الروائي العربي من خلال بعض نماذجه)، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005م/2006م، ص: 195/194.

"**إن النظرة التي يعتمدها جورج لوكاتش في مجال تأسيس سوسيولوجية الأدب والرواية تجمع بين محاور أساسية هي: النص الأدبي والروائي، والقيمة الإيديولوجية للكاتب والواقع، ليصل في النهاية إلى إنجاز علاقة بين هاته الأطراف تتلخص في أن الأديب والروائي نتاج لظروف سوسيو– تاريخية. ولذلك فإن إنتاجه سينطبع لا محالة بهاته الوضعية.**"[1]

الرواية من خلال التصوُّر اللوكاتشي هي: "**تاريخ منحط شيطاني يبحث عن قيم أصيلة في عالم منحط.**"[2] ذلك أن الرواية تتضمن بطلاً إشكالياً يحمل قيمًا أصيلة، يسعى إلى تثبيتها في مجتمع منحط. ويقع هذا البطل في صراع بين الذات والواقع؛ واقع مليء بالتناقضات والمتغيرات، وذات متمردة تحلم بواقع أفضل لها ولمجموعتها. فيحمل البطل رؤية هذه المجموعة الاجتماعية ونظرتها للكون، "**فالرواية مطالبة بعدم الاستسلام لهذا الواقع الغريب، وحمل لواء الطبقات التي ضحّى بها التقسيم الرأسمالي للعمل من أجل مصلحة الأقليات.**"[3]

من هذا المنطلق يرى **لوكاتش** ضمن دراسته للرواية الأوروبية خلال القرن التاسع عشر، أنها تتخذ ثلاثة أنماط بحسب اختلاف دور البطل داخلها:

1. **الرواية المثالية التجريدية:** "**وتتميز بحيوية البطل ووعيه المحدود بالقياس إلى تعقد العالم.**"[4] ومثالها: رواية دون كيشوت لسيرفانتس، وروية الأحمر والأسود لستاندال.
2. **الرواية السيكولوجية:** وتتوجه نحو تحليل الحياة الداخلية وتتميز بسلبية بطلها الحامل لوعي واسع وغير راض بما يقدمه له الواقع. ومثالها الرواية العاطفية لفلوبير.
3. **الرواية التربوية التعليمية:** وهي نوع يختلف عن النوعين المذكورين سابقاً، فالبطل لا يقف موقف الرفض للواقع ولا هو يقبله، ومن أمثلتها: رواية ويلها لم مايسر لغوته.

---

[1] عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي، ص: 195.

[2] أحمد اليبوري: في الرواية العربية (التكوّن والاشتغال)، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م، ص: 13.

[3] ينظر: محمد الصالحي: قنديل أم هاشم (قراءة وتحليل)، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1995م، ص: 10.

[4] محمد عزام: تحليل الخطاب الروائي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 2003م، ص: 190.

تعمل الرواية على تجسيد الواقع وبصفة خاصة الغوص في جوهر تناقضاته لإدراك وتجسيد صيرورة علاقاته والأهم هو إدراك النمطي فيها. فالنمطي الذي يقصده **جورج لوكاتش** هو: "**القوى الكامنة في المجتمع ، أي تلك القوى التي تراها الماركسية بمثابة القوى الأكثر تقدما وأهمية من الناحية التاريخية ، لأنها تكشف عن البنية الداخلية الفعالة للمجتمع ، ومهمة الكاتب الواقعي إبراز القوى النمطية.**"[1]

يتخذ **لوكاتش** من مفهوم النمطية ليفرق بين الأدب التجريدي الطبيعي الذي "**يكتفي بإعادة إنتاج أحداث ووقائع وأفعال أو ملفوظات منعزلة دون إدراجها داخل كلٍّ مُتَّسق ،فهو عبارة عن انعكاس جمالي لا يتجاوز الظاهرة ولا يتغلغل إلى الجوهر.**"[2] وبين الأدب الواقعي الذي يجسد تلك الوقائع والأفعال والملفوظات بشكل نمطي متميز يتجاوز الواقع الذي أُنتجت فيه.

يذهب الناقد في تصوره حول سبب ظهور جنس الرواية إلى أنَّ "**التناقض بين الإنتاج الاجتماعي والتملك الخاص هو جوهر الصراع الجديد في المجتمع، وهو الدافع الرئيسي لوجود الرواية.**"[3] فالصراع الذي أوجد جنس الرواية يكون محتدماً في ظل المجتمعات الرأسمالية بين نمطين من الوعي، هما: الوعي الزائف وهو وعي البورجوازية المهيمنة، والوعي الصحيح وهو وعي البروليتارية الغير مهيمنة.[4]

يصف **لوكاتش** الأعمال الأدبية الكبرى بأنها "**تلك الأعمال التي لا تتوقف عند العكس الخارجي للواقع، بل تسعى لتوظيف ثرائه وتنوعه، في صورة من الانسجام غير المخل بالقيمة الفنية.**"[5] لذا نجده يُعلي من قيمة الكتابة الروائية لبلزاك الذي استطاع التحرر من أفكار طبقته الأرستقراطية. وهو بذلك يشير إلى"**التفاوت الموجود أحياناً بين الانتماء الاجتماعي والانتماء**

---

[1] عبد الوهاب شعلان: المنهج الاجتماعي وتحولاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008م، ص: 39.

[2] بيير زيما: النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع للنص الأدبي، تر: عايدة لطفي، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1991م، ص: 49.

[3] حميد لحمداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م، ص: 64

[4] ينظر: حميد لحمداني: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص: 69.

[5] عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي، ص: 200.

الفكري للكاتب ... وينبه النقاد إلى ضرورة الاحتياط من الوقوع في الخطأ الفادح الذي ينشأ عن النظرة الميكانيكية في تفسير أعمال الروائيين، اعتماداً على انتماءاتهم الاجتماعية أو اعتماداً على معتقداتهم التي يعلنون عنها بشكل مباشر... ذلك أن الإبداع يحرر المبدع أحياناً حتى من أفكاره الراسخة."[1]

بهذا يكون **جورج لوكاتش** أول من جمع بين قطبي علم الجمال وعلم الاجتماع في دراسته الأدبية، فيؤكد على "**أن الأدب إذا تخلى عن وظائفه الفنية وقيمه الجمالية، فإنه يفقد جدواه الاجتماعية التي لا يستطيع أي نشاط إنساني آخر أن يحققها. فليس هناك تعارض بين علم الجمال وعلم الاجتماع، ذلك أن القيمة الجمالية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا تجسدت في ظاهرة اجتماعية يلمسها الناس في حياتهم اليومية.**"[2]

حيث اختار **لوكاتش** "**الملقب بـ: ماركس الجمالية مجال الجمالية لاستعمالها في تجديد الجدلية الماركسية.**"[3] فيكون بذلك قد أرسى دعائم سوسيولوجية الرواية وفق النظرة الجدلية، وجعلها علماً موضوعياً بحيث لم يعد العمل الأدبي يبدو كانعكاس للوعي الجماعي، كما أن العلاقة الأساسية بينهما لم تعد على مستوى المضمون وإنما على مستوى التماثل البنيوي بين البنى الذهنية، التي هي عبارة عن مقولات تشكل الوعي الجماعي، وبين البنى الجمالية التي تشكل العمل الفني.

---

[1] حميد لحمداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، ص: 63/62.

[2] نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، دار نوبار، القاهرة، ط1، 2003م، ص: 329.

[3] ينظر: هنري أرفون: الجمالية الماركسية، تر: جهاد نعمان، منشورات عويدات، بيروت، 1982م، ص:07.

فقام بتوجيه الدرس السوسيولوجي للنصوص الأدبية والروائية على وجه الخصوص ليس فقط إلى دراسة المضمون الاجتماعي والإيديولوجي، بل أيضاً اعتنى فيه بالجانب الجمالي والفني لما يمثله من أهمية لفهم النص الأدبي.

هذه النظرة التي تفرّد بها **لوكاتش** عن سابقيه؛ كانت البذرة الأولى لنشأة منهج نقدي يسعى إلى "**إعادة الاعتبار للعمل الأدبي والفكري في خصوصيته بدون فصله عن علائقه بالمجتمع والتاريخ، وعن جدلية التفاعل الكامنة وراء استمرار الحياة وتجدّدها.**"[1] فقد كانت أعمال **جورج لوكاتش** اللبنة الأولى التي سينطلق منها **غولدمان** في بناء مقولات البنيوية التكوينية.

[1] لوسيان غولدمان وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر: محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط2، 1986م، ص: 07.

II. لوسيان غولدمان والبنيوية التكوينية::

تميزت أعمال **لوسيان غولدمان** Lucien Goldmann (1913م- 1970م)[1] "**بتركيزها على علم اجتماع المعرفة وعلم اجتماع الأدب، وجدّدت كتاباته النقد الماركسي وأضفت عليه قيمة معاصرة تتجاوز إطاره الدوغمائي. وقد أهَّله اطلاعه الواسع على الفلسفة الألمانية لابتكار منهجية جديدة في الدراسة الأدبية تدعى السوسيولوجيا الجدلية للأدب، ولكنه إتباعاً للموضة الشائعة أسماها: البنيوية التكوينية.**"[2]

تأثر **غولدمان** بالإرث اللوكاتشي في صياغته لأهم مقولات البنيوية التكوينية كمفهوم البنية الدالة، النظرة الشمولية، ورؤية العالم. وقد اهتم بدراسة "**البنية الفكرية والمجتمعية للنص، بغية الكشف عن درجة تمثل النصوص الإبداعية لفكر المجموعة الاجتماعية أو الطبقة التي ينتمي إليها المبدع.**"[3]

أسَّس **غولدمان** للمنهج البنيوي التكويني منطلقاً من أربع نقاط رئيسية وهي:

1. "إن النتاج الأدبي ليس انعكاساً بسيطاً للوعي الجماعي الواقعي، ولكنه يميل دائماً إلى أن يبلغ درجة عالية من الانسجام تعبر عن الطموحات التي ينزع إليها وعي الجماعة التي يتحدث الأديب باسمها، ويمكن تصوره كحقيقة موجهة لتحقق الجماعة المذكورة نوعاً من التوازن في الواقع الذي تعيش فيه."[4]

2. إن العلاقة الموجودة بين الوعي الجماعي وبين الأعمال الإبداعية الفردية الكبيرة ... لا تكمن في شكل تطابق تام في المحتوى، ولكنها تتجلى في نوع من الانسجام على مستوى

---

[1] حميد لحمداني: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص: 70.

[2] محمد ندسم خشفة، تأصيل النص (المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان)، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1997م، ص: 09.

[3] عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي، ص: 203.

[4] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985م، ص: 12/11

أعلى، أو نوع من التطابق على مستوى البنيات، لأن الأعمال الإبداعية تبني مضامينها في شكل صياغة مجازية تختلف اختلافاً كبيراً عن المضمون الواقعي للوعي الجماعي.[1] وبهذا يتمتع العمل الأدبي بتفرده الذي يقابل بنية فكرية لجماعة ما، من ناحية بنائه الجمالي الذي "**يتميز باستقلال نسبي عن بناء العلاقات الاجتماعية وشكلها.**"[2]

3. "**أن النتاج الإبداعي يمكن أن يكون في بعض الحالات من إبداع فرد ليست له إلا علاقة طفيفة مع هذه الجماعة.**"[3] فيصبح بمقدور المبدع تبني أفكار طبقة اجتماعية ليست بالضرورة هي الطبقة التي ينتمي إليها؛ وهي ذات الفكرة التي سبق أن أشار إليها أستاذه **جورج لوكاتش.**

4. "**إن الوعي الجماعي ليس حقيقة أولية، ولا هو بحقيقة مستقلة، إنه وعي يتكون ضمنياً من خلال السلوك العام للأفراد المساهمين في الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية.**"[4] وبذلك يقتصر دور المبدع "**في إبراز رؤية العالم وبلورتها في أفضل صورة ممكنة ومتكاملة لها.**"[5]

يترتب عن هذه المنطلقات الأربعة للبنيوية التكوينية؛ أن **غولدمان** يرى "**أن تحليل النص ينبغي أن ينطلق من بنيته الداخلية ذاتها، وأن لا يُضاف إليها شيئ خارج عنها، وأن تكون دائماً غاية البحث في النص هي التوصل إلى معرفة بنيته الدالة التي يمكنها أن تلخص مدلوله العام.**"[6]

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 12/11.

[2] حميد لحمداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، ص: 67.

[3] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص: 12.

[4] المصدر نفسه، ص: 13.

[5] ينظر: حميد لحمداني، النقد الروائي والإيديولوجيا، ص: 66.

[6] المرجع نفسه، ص: 67.

يتم ذلك عبر عمليتي الفهم والتفسير، الأولى تنطوي على مهمة "**توضيح البنية الدلالية البسيطة نسبياً والمحايثة للأثر الأدبي، وعلى الباحث الانتباه إلى البنية القادرة على إقامة علاقة شاملة أو قريبة من الشمول بينها وبين الأثر الأدبي. كما ينبغي له أن يمتنع عن إضافة عناصر دخيلة على النص أو دلالات غير منتزعة من النص ذاته. أما عملية التفسير فمهمتها إقامة العلاقة بين الأثر الأدبي والواقع الخارجي.**"[1]

وهو ما يمكن إسقاطه على تسمية البنيوية التكوينية باعتبار "**أن المرحلة الأولى (الفهم) هي المتعلقة بدراسة البنية وفهمها، وأن المرحلة الثانية (التفسير) هي المتعلقة بدراسة التكوين أي ربط العمل بالبنى الفكرية الموجودة خارجه، أي تفسير العمل وإدراك وظيفته ضمن الحياة الثقافية في الوسط الاجتماعي.**"[2]

"**كما أن هذا المنهج لا ينفي تدخل اللاوعي في العملية الإبداعية، وبذلك يربط بين علم الاجتماع وعلم النفس. على الرغم من أن غولدمان انتقد المنهج البنيوي الشكلي والتحليل السيكولوجي الفرويدي، لأن الأول يرفض الدلالة الاجتماعية للأدب، ولأن الثاني يقف عند حدود التفسير الفردي.**"[3]

فتغدو البنيوية التكوينية "**منهجاً علمياً موضوعياً يؤكد على العلاقات القائمة بين النتاج والمجموعة الاجتماعية التي وُلد النتاج في أحضانها. وهذه العلاقات لا تتعلق بمضمون الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي، وإنما بالبنيات الذهنية التي هي ظواهر اجتماعية، لا فردية. وهذه البنيات الذهنية ليست بنيات شعورية أو لاشعورية، وإنما هي بنيات عمليات غير واعية. ومن هنا فإن إدراكها لا يمكن أن يتحقق بوساطة دراسة النوايا الشعورية للمبدع، ولا بوساطة تحليل محايث، وإنما بوساطة بحث بنيوي، ذلك أن الفرد الذي يعبر عن الطبقة الاجتماعية وعن**

---

[1] محمد نديم خشفة: تأصيل النص (المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان)، ص: 10/ 11.

[2] حميد لحمداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، ص: 68.

[3] محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص: 316/315.

رؤيتها للعالم إنما يتصرف انطلاقاً من هذه البنيات الذهنية التي تسود المجموعة التي يعبر عنها."[1]

تختلف البنيوية التكوينية عن سوسيولوجيا المضامين والأشكال؛ "**التي ترى في النتاج الأدبي مجرد إنعكاس للمجتمع وللوعي الجماعي، بينما يكون عاملاً أساسياً من عوامل هذا الوعي الجماعي في البنيوية التكوينية.**"[2]

كما يتميز المنهج البنيوي التكويني عن البنيوية الشكلية التي تنظر للنص الأدبي على أنه "**تجريد مطلق أو كنظام مستقل عما عداه ومُكتف بنفسه، بل تفهمه من حيث وظيفية دالة على مستوى التلاحم الداخلي نفسه. وبالمقابل فإن التحليل البنيوي التكويني يتعمق في الكشف عن وظيفة التلاحم الداخلي، كما يضطر للعودة إلى الخارج حيث الطبقة أو المجموعة الاجتماعية للأديب المنتج.**"[3]

بهذا تكون البنيوية التكوينية قد تجاوزت صورة النقد السوسيولوجي التقليدي في جدليته المادية، لتعلن عن منهج نقدي جديد يبحث في "**العلاقة بين الأعمال الأدبية والواقع الاجتماعي على مستوى التناظر والتماثل بين البنيات والأشكال الأدبية والبنيات الذهنية المشكلة للوعي الجماعي، ضمن رؤية نقدية تهتم بالبنية الداخلية والفنية (للرسالة) للعمل الأدبي وبأبعاده الاجتماعية والإيديولوجية.**"[4]

---

[1] محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص: 227.

[2] جمال شحيّد: في البنيوية التكوينية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2013م، ص: 104.

[3] سليم بركان: النقد السوسيوبنائي في الجزائر، حوليات الآداب واللغات (أعمال الملتقى الوطني الأول حول النقد الجزائري 22/21 ماي 2006م) جامعة المسيلة، الجزائر، العدد الثاني، ديسمبر 2013م، ص: 181.

[4] عبد السلام بن عبد العالي: سوسيولوجيا الأدب عند لوسيان غولدمان، مجلة أقلام، عدد 4 فبراير 1977، ص: 33/32.

فغولدمان يقر بذلك التناظر والتماثل بين الشكل (البنية الداخلية للنص) والمضمون (الحقل الاجتماعي والإيديولوجي)، فيسعى من خلال آليتي الفهم والتفسير إلى الكشف عن البنية الدالة التي هي موضوع النص. ثم العمل على ربط هذه البنية ومناظرتها ببنية تماثلها على مستوى البنى الاجتماعية، هذا التناظر "**يفرض على المؤلف تبنِّي أيديولوجية ما حتى إذا كانت عن طريق مضامين خيالية تخالف أشدَّ الخلاف المحتوى الواقعي للوعي الجمعي.**"[1]

نظرية **غولدمان** تطالب العمل الروائي باتخاذ موقف جمالي وإيديولوجي من الواقع الاجتماعي، ويُوكِّل للعمل الأدبي "**وظيفة التعبير عن الوعي الممكن، أي التعبير عن وضع طبقة اجتماعية وإمكانياتها ونزوعاتها وآفاقها، ويجعل من هذه الوظيفة الحامل الأساسي للعمل الأدبي ومبرِّر وُجوده.**"[2]

غولدمان في تنظيره لهذا المنهج حقق ريادته في مزاوجة المقاربة النسقية (الداخل) والمقاربة السياقية (الخارج) للنص الأدبي والروائي بالخصوص، باعتبار أن الرواية تستمد وجودها من لغة الواقع، كما أنه تفرّد بتقديم مفاهيم نظرية للتحليل السوسيولوجي للنصوص الروائية.

تمكّن **لوسيان غولدمان** من إرساء دعائم منهجه البنيوي التكويني معتمداً في ذلك على اجتهادات سابقة وفي مقدمتها أعمال الناقد **جورج لوكاتش**، فطرح جملة من المفاهيم السوسيولوجية للبحث في بنية العمل الأدبي وتكوينه:

1. رؤية العالم La vision du monde :

هي من أهم المقولات الأساسية في منهج **غولدمان** النقدي، وقد استعمله العديد من الفلاسفة من أمثال **ديلتاي**، و**هيجل**، و**ماركس**، و**لوكاتش**. ويرى هذا الأخير أن رؤية العالم هي "**إدراك المبدع لمشاكل حياته ومشاكل عصره بغريزة فنية مؤكدة.**"[3] ، وتمثّل عنده الشكل

---

[1] باسم صالح حميد: النزعة الحوارية في الرواية، مجلة علامات، ج51، م13، مارس 2004م، ص: 603.

[2] فيصل درّاج: نظرية الرواية والرواية العربية، ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1،1999م، ص: 48.

[3] عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي، ص:207.

الأرقى من الوعي؛ فيقول **لوكاتش**: "**إن النظرة إلى العالم هي تجربة شخصية عميقة يعيشها الفرد، وهي أرقى تعبير يميز ماهيته الداخلية، وهي تعكس بذات الوقت مسائل العصر الهامة عكسًا بليغًا** "[1]

يركز **غولدمان** في تصوّره لرؤية العالم على الوعي الجماعي الذي يتسم بالرؤية الكونية للفئة الاجتماعية، ذلك أن رؤية العالم – حسبه – هي: "**ليست وقائع شخصية بل وقائع اجتماعية.**"[2] فالشرط الأساسي لهذه الرؤية هو تجاوزها لعنصر الفرد وتمظهرها في السياق الاجتماعي والفكري والثقافي العام، "**فهي بنية فكرية لا يمكنها أن تكون إلا من إبداع الجماعة، والفرد يمكنه فقط أن يترفع بها إلى درجة عالية من الانسجام بتحويلها إلى مستوى الإبداع الخيالي، أو إلى مستوى الفكر النظري.**"[3] لهذا نجد **غولدمان** يعرف رؤية العالم بأنها: "**منظومة من التطلعات والمشاعر والأفكار التي تجمع بين أعضاء طائفة أو فئة أو طبقة أو قطاع، وتضعهم في معارضة أو مواجهة أو تناقض مع الطوائف الأخرى.**"[4]

العمل الأدبي عند **غولدمان** هو رؤية العالم؛ يقول في ذلك **جابر عصفور**: "**وكل عمل إبداعي هو تجسيد لرؤية العالم التي تصنعها الذات المجاوزة للفرد، وذلك بالمعنى الذي ينقل هذه الرؤية من مستوى الوعي الفعلي (القائم) الذي بلغته إلى مستوى الوعي الممكن... ولا يتأتى ذلك إلا لكبار المبدعين والكتاب الذين لا يكتفون بنقل ما هو واقع.**"[5]

---

[1] جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية، تر: نايف بلوز، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1985م، ص: 25.

[2] لوسيان غولدمان وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ص: 14.

[3] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 12.

[4] نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، ص: 567.

[5] جابر عصفور: نظريات معاصرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1998م ، ص: 111.

يؤكد **غولدمان** في كتابه: (**الإله الخفي**) على أن رؤية العالم ليست نسخاً أو انعكاساً مباشراً للأشياء؛ بل هي: "**أداة عمل إدراكية ضرورية لفهم التعبيرات المباشرة لفكر الأفراد، وتظهر أهميتها وواقعيتها حتى على المستوى التجريبي عندما نتجاوز فكر كاتب واحد وأعماله.**"[1]

بهذا نتوصل إلى أن الأعمال الأدبية في التصور الغولدماني هي شكل من أشكال الوعي لدى طبقة اجتماعية معينة وفق رؤية شاملة ومتجانسة، يتم الكشف عنها من خلال بنية النص الدالة.

2. **الوعي الفعلي Conscience Réelle والوعي الممكن Conscience Possible** :

للوصول إلى تحديد المفهومين، وتوضيح الصلة القائمة بين الوعي والحياة الاجتماعية يجب علينا أولاً التطرق لماهية الوعي، ويُقرّ **غولدمان** بصعوبة تحديده فيقول: "**تبيَّن لي أن موضوعة الوعي هي من بين الكلمات الأساسية المستعصية على التحديد الدقيق...**"[2] ثم يذهب إلى تخصيص الوعي على أنه "**مظهر معيَّن لكل سلوك بشري يستتبع تقسيم العمل.**"[3]

قدّم **غولدمان** في تحديده للخاصية المميزة لرؤية العالم أنماط الوعي وهي: الوعي الفعلي أو القائم أو الواقع والوعي الممكن. فالوعي الفعلي هو"**الوعي الناجم عن الماضي ومختلف في حيثياته وظروفه وأحداثه، فكل مجموعة اجتماعية تسعى إلى فهم الواقع انطلاقاً من ظروفها المعيشية والاقتصادية والفكرية والدينية والتربوية.**"[4] أي أنه وعي يولد من إحساس بظروف واحدة تجمع بين أفراد الجماعة الواحدة.

يصطلح عليه **حميد لحمداني** بالوعي الواقع الذي هو"**مجموع التصورات التي تملكها جماعة ما عن حياتها ونشاطها الاجتماعي، سواء في علاقتها مع الطبيعة أم في علاقتها مع الجماعات**

---

[1] لوسيان غولدمان: الإله الخفي، تر: زبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، (د.ط)، 2010م، ص: 43.

[2] لوسيان غولدمان وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ص: 33.

[3] المرجع نفسه، ص: 33.

[4] جمال شحيّد: في البنيوية التكوينية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، ص: 55/54.

الأخرى، وهذه التصورات تبدو ثابيتة وراسخة بحيث لا يمكن تصور وجود الجماعة المذكورة بدونها."[1]

في حين أن الوعي الممكن هو ذاك الوعي"**الذي يُجسِّد الطموحات القصوى التي تهدف إليها الجماعة.**"[2]

أو هو كما أشار إليه **جمال شحيّد** "**ما يمكن أن تفعله طبقة اجتماعية ما، بعد أن تتعرض لمتغيرات مختلفة دون أن تفقد طابعها الطبقي.**"[3] أي الوعي الذي يغير سيرورة الطبقة الاجتماعية؛ "**فالفلاحون الروس هم الذين أنجحوا ثورة أكتوبر لأن تطلعاتهم قد تغيرت كونهم عاشوا ظروفاً جديدة كعمال مستغلين، فسارعوا إلى تطبيق مبادئ الاشتراكية وتحقيقها.**"[4] ذلك أن الوعي الممكن مبني على فكرة التغيير والتطلع له ومحاولة تحقيقه، إنه "**الوعي الشمولي القادر على تغيير التاريخ، ولن يتحقق هذا إلا بفعل عبقرية الأديب الذي يستطيع أن يعبر عن رؤية العالم لطبقة معينة... وهذا الممكن هو رؤية العالم، بمعنى أنه ذلك المستوى من الوعي الجماعي الضروري الذي تتبناه طبقة واعية وفاعلة وطامحة للتغيير.**"[5]

من هنا نستنتج العلاقة بين الوعي الفعلي والوعي الممكن، باعتبار أن الأول متقوقع في الواقع ولا يتعداه، أما الثاني فيتكوّن من تجاوز الواقع ليحقق التماثل بين المستوى الطبقي وطموح الفئة الاجتماعية، فالعلاقة بين الوعيين علاقة ضمنية؛ "**فالوعي الممكن يتضمن الوعي الفعلي وإضافة عليه، أي أنه يستند إليه ولكنه يتجاوزه.**"[6]

---

[1] حميد لحمداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، ص: 69.

[2] المرجع نفسه، ص: 69.

[3] جمال شحيّد: في البنيوية التكوينية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، ص: 55.

[4] المرجع نفسه، ص: 55.

[5] سليم بركان: النسق الإيديولوجي وبنية الخطاب الروائي، مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2003م/2004م. ص: 68.

[6] جمال شحيّد: المرجع السابق، ص: 56.

بالتالي، فكل عمل أدبي "**يجسد ويبلور رؤية العالم لدى هذه الطبقة أو تلك، ويجعلها تنتقل من الوعي الفعلي الذي بلغته إلى الوعي الممكن. ولا يتوفر ذلك إلا للكُتَّاب والمفكِّرين الكبار دون الصغار منهم الذين يتوقفون عند الوعي الفعلي لدى طبقة ما ويقتصرون على وصفه.**"[1]

أما بخصوص الوعي الزائف، نجد أن **غولدمان** لم يفصِّل فيه واكتفى بالإشارة إليه، فهو يبني فرضيته النظرية على مقولة لأستاذه **لوكاتش** وهي الوعي الزائف الذي درسه مطوَّلاً في كتابه "**التاريخ والصراع الطبقي**"، والذي "**لا ينفصل عن تحولات السلعة التي تتجلى في الإنتاج من أجل السوق، موضوعاً مستقلاً عن البشر ومسيطراً عليهم أيضاً.**"[2]

3. البنية الدالة structure significative:

البنية الدالة للنص الروائي هي هدف ومقصد كل ناقد روائي أثناء مقاربته للنص، وهي في التصور الغولدماني ترتبط بمفهوم الشمولية والكلية، كونها بنية تعبر عن الوعي الجماعي لمجموع الأفراد. "**ويشكل مفهوم البنية الدلالية الأداة الرئيسية للبحث عند غولدمان، يفترض فيه وحدة الأجزاء ضمن كلية، والعلاقة الداخلية بين العناصر، والانتقال من رؤية سكونية إلى رؤية دينامية مضمرة داخل المجموعات يتجه نحوها فكر ووجدان وسلوك الأفراد، ولكنهم لا يصلونها إلا لماماً، وفي حالات متميزة يتطابق فيها موقفهم مع موقف طبقتهم الاجتماعية أو مجموعتهم، وتظهر هذه الحالات في مجال الإبداع.**"[3]

---

[1] جمال شحيّد: في البنيوية التكوينية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، ص: 56.

[2] فيصل درّاج: نظرية الرواية والرواية العربية، ص: 43.

[3] محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة ص: 227.

يطلق **غولدمان** على "**التطابق الممكن بين المواهب الفكرية والوضع التاريخي إسم عبقرية، فالعبقرية بالنسبة له ليست موهبة فردية بحته، وإنما تربط ربطاً وثيقاً بين الفرد النابغ والجماعة التي ينتمي إليها في الزمان والمكان.**"[1]

هنا يختلف مفهوم البنية في النقد البنيوي التكويني عنه في النقد البنيوي الشكلي في عزل هذا الأخير للبنية عن السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي الذي نتج فيه النص الأدبي، فالبنية الدالة التي يقصدها **غولدمان** لا تُفهم إلا من خلال ربطها بالوعي الجماعي والسياق الذي نتجت فيه. فهي "**ذلك الترابط الحاصل بين رؤية العالم التي يعبر عنها النص في الواقع، وعناصره الداخلية، شكلية كانت أو فكرية، ويتطلب الوصول إليها بحثاً دقيقاً للأحداث الواقعية ومعرفة عميقة للقيم الفكرية المنبثقة عنها، ضمن محاور ثلاثة في النص هي: الحياة الفكرية النفسية العاطفية، والحياة الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها المجموعة التي يعبر عنها النص الروائي.**"[2]

تكتسب البنية دلالتها الوظيفية من حيث أنها "**تشكل مع رؤية العالم وحدة متكاملة فالأخيرة تشرح النص وتفسره، بينما تقوم البنية الدلالية بفهمه وإدراكه ووضعه في إطاره الاجتماعي المتميز.**"[3]

4. الفهم La compréhension والتفسير L'explication:

اقترح **غولدمان** في منهجه النقدي عمليتين إجرائيتين في مسار دراسة النصوص الروائية، وهما: عمليتي الفهم (الشرح)، والتفسير (التأويل)، ويلح على أنهما "**ليستا عمليتين عقليتين مختلفتين أو منفصلتين، بل عملية واحدة مركبة تترابط بمتآزرات مختلفة.**"[4]

---

[1] جمال شحيّد: في البنيوية التكوينية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، ص: 61.

[2] عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي، ص: 210.

[3] جمال شحيّد: في البنيوية التكوينية، ص: 61.

[4] جابر عصفور: نظريات معاصرة، ص: 130.

تقتضي مرحلة الفهم "**دراسة بنيوية مرتبطة بالعالم التخيلي الذي تمت صياغته من قبل المبدع.**"[1] أي الالتزام بتحليل بنية النص الداخلية دون تأويلها ثم تحدد البنية الدالة من كلية العمل الأدبي. لتأتي بعدها مرحلة التفسير والتي هي "**محاولة لإلقاء الضوء على تلك البنية المستخلصة سابقاً من خلال مقارنتها مع إحدى بنيات رؤى العالم الموجودة لدى الطبقات القائمة في المجتمع، الذي ينتمي إليه المبدع.**"[2]

في حين يلخصهما **محمد عزام** في قوله: "**الفهم يكمن في الوصف الدقيق لبنية ذات دلالة، أو هو الكشف عن بنية دالة محايثة للموضوع المدروس. أما التفسير فهو إدراج هذه البنية من حيث هي عنصر مكوّن وظيفي، في بنية شاملة مباشرة لا يسبرها الباحث بطريقة مفصلة، وإنما بالقدر الضروري لجعل تكوين العمل الذي يدرسه مفهوماً.**"[3]

يؤكد ذلك **غولدمان** في قوله: "**يقدم هذا المنهج بين ما يقدمه امتيازاً مزدوجاً في تصور الوقائع الإنسانية أولاً بطريقة موحدة، ومن ثم في أنه فهمي وتفسيري في آن واحد، لأن إلقاء الضوء على بنية دلالية يؤلف عملية فهم في حين أن دمجها في بنية أوسع هو بالنسبة للأولى عملية تفسير.**"[4]

---

[1] حميد لحمداني: الفكر النقدي الأدبي المعاصر، ص: 73.

[2] المرجع نفسه، ص: 73.

[3] محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص: 230.

[4] لوسيان غولدمان وآخرون: مقدمات في سوسيولوجية الرواية، ، تر: بدر الدين عرودكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1993م، ص: 238.

5. التماسك Cohérence :

ركّز **غولدمان** على جمالية التماسك، فالعمل الأدبي عنده "**يكون ناجحاً من الناحية الجمالية عندما يدل دائماً على معنى متماسك يعبر عنه بشكل مناسب. ويكون المعنى متماسكاً عندما يتطابق فيه الفردي والجماعي، علماً بأن النزوع إلى التماسك يدخل في صميم الذات الفردية.**"[1]

إن الأديب المتميز يمثل تلك الذات القادرة على خلق هذا التماسك، إذ يرى **غولدمان** أن "**الكاتب الكبير هو على وجه الدقة الفرد الاستثنائي الذي ينجح في أن يُبدع عالماً خيالياً متماسكاً أو شبه متماسك بدقة تطابق بنيته التي ينزع إليها مجموع الجماعة.**"[2]

على هذا يؤدي عنصر التماسك في العمل الأدبي إلى تحويل الوعي الممكن إلى رؤية العالم؛ فعندما "**يصل الوعي الممكن إلى درجة من التلاحم الداخلي التي تصنع كلية متجانسة من التصورات عن المشكلات التي تواجهها الطبقة وكيفية حلها، وعندما تزداد درجة التلاحم شمولاً لتصنع بنية أوسع من التصورات الاجتماعية والكونية، عندما يحدث ذلك يصبح الوعي الممكن رؤية للعالم.**"[3]

6. الشمولية Exhaustivité :

هي من أهم المقولات التي اعتمدها **لوسيان غولدمان** في كتابه: **الإله الخفي**، وقد قام فيه بتأكيد العلاقة بين الجزء والكل للوصول إلى المعرفة، ذلك أن "**كل حقيقة جزئية لا تأخذ مدلولها الحقيقي إلا من خلال مكانها في الكل، كذلك لا يمكن للكل أن يُعرف إلا عبر التطور**

---

[1] جمال شحيّد: في البنيوية التكوينية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، ص: 58.

[2] لوسيان غولدمان وآخرون: مقدمات في سوسيولوجية الرواية، ص: 234.

[3] جابر عصفور: نظريات معاصرة، ص: 110.

في معرفة الحقائق الجزئية. يظهر مسار المعرفة هكذا كتذبذب مستمر بين الأجزاء والكل، يتوجب على أحدهما أن يوضح للآخر على نحو تبادلي."[1]

وفق رؤية **غولدمان** لا يمكن معرفة الجزء إن لم يتم وضعه في إطار الكل، فلا "**يجوز للناقد أن يعزل جزءاً من النص ويدرسه على انفراد بمعزل عن سياقه ومجمله... ولا يمكن فهم جزئية ما دون وضعها في إطار النص الأدبي ككل.**"[2] فالعمل الأدبي كلٌّ ملتحمة الأجزاء والعناصر، يوجد فيه "**تماسك داخلي للنظام المفهومي، كما توجد مجموعة من المخلوقات الحية في الأثر الأدبي. إنه متشكل من جمل أو كليات يمكن فهم أجزائها انطلاقاً من الأجزاء الأخرى، وتُفهم على أحسن وجه انطلاقاً من بنية المجموعة.**"[3]

بهذا يحقق المفهوم الشمولي عند **غولدمان** المعرفة الكاملة، "**فالنظرة الشمولية لدراسة الواقع ونقده تشكل رؤية ناجحة ورفيعة للعالم. ولأنها شمولية، لا تقع في خطر المحدودية والرؤية الجزئية. ولكن هذه الرؤية الشمولية لا تتوفر إلا عندما يتماشى الناقد أو المفكر مع تطلعات الفاعل التاريخي (الطبقة الاجتماعية المحددة لمسار التاريخ والمستقبل)، فيتفاعل معها وتتفاعل معه، لهذا لا ينفك غولدمان يتكلم عن الفاعل الجماعي الذي تجاوز فرديته. على هذا فالشمولية – في نظره– تقريبية؛ فالنص الأدبي يترك المجال لاكتشافات ومعاني جديدة.**"[4]

ليصل المبدع إلى هذه النظرة الشمولية عليه "**أن يستوعب الواقع في كليته، لا أن يكتفي بمعرفته سطحياً، بل يكشف تناقضاته وصراعاته ونظامه، فإذا كان الأدب بالفعل شكلاً خاصاً**

---

[1] لوسيان غولدمان: الإله الخفي، ص: 29.

[2] محمد عزام: تحليل النص الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص: 247.

[3] محمد نديم خشفة: تأصيل النص (المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان)، ص: 10.

[4] جمال شحيّد: في البنيوية التكوينية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، ص: 60/59.

لانعكاس الواقع الموضوعي، فمن المهم جدًّا له أن يستوعب هذا الواقع كما هو بالفعل ولا يقتصر على التعبير عما يبدو مباشرة."[1]

7. **البطل الإشكالي Héros Problématique** :

ورد هذا المصطلح عند جورج لوكاتش في كتابه (نظرية الرواية)، حيث يبني هذا الناقد "**الشكل الروائي على فكرة البطل الإشكالي الذي يسقط في التيه حين يلتقي بالعالم.**"[2] والبطل الإشكالي يختلف عن البطل الإيجابي الملحمي الذي ينتصر على الواقع ويحقق أفكاره، كما يختلف عن البطل السلبي الذي يفشل في تغيير الواقع. بل يتراوح البطل الإشكالي بينهما، فهو بطل يحمل قيماً إيجابية أصيلة ويفشل في تفعيلها وغرسها في واقع منحط تحكمه الصدفة واللاَّنظام، لذا يكون متردداً بين الذات والموضوع ويدفع به الصراع إما إلى مغامرة طائشة، أو الهروب من الواقع والتقوقع على ذاته، وإما يتصالح مع الواقع ويتعلم من تجاربه الحياتية.

يتبنى غولدمان فكرة البطل الإشكالي، ويؤكد على مقوله انحطاط البطل والعالم؛ "**حيث الأول متدهور لأنه يبحث عن قيم بوسائل تنقضها، وإذ الثاني نظير له لأنه حوّل القيم إلى ذكرى متوارية، ويصدر عن اختلاف العالمين وتصادمهما بطل خاسر، كما لو كان التناحر بين الطرفين المنحطين شرطاً لازماً لتكوين بنية تولّد بطلاً يصل إلى لا مكان.**"[3]

إذن فالبطل الإشكالي هو بطل وليد انقلاب القيم الاجتماعية والإنسانية، وتحولها لتصبح قيم تبادل للأشياء والسلع، فالفرد الإشكالي هو نظير للإنسان الذي صنعه المجتمع الرأسمالي، لأنه ذو نظام "**يطلق الفردية ويكبحها في آن، خالقاً شروط ولادة الفرد الإشكالي وتطوره، الذي يقاوم ما لا يستطيع مقاومته.**"[4] فيرتبط البطل الإشكالي بمقولات عدّة منها: الرفض والتمرد والاغتراب.

---

[1] جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية، ص: 124.

[2] فيصل دراج: نظرية الرواية والرواية العربية، ص: 38/37.

[3] المرجع نفسه، ص: 41/40.

[4] المرجع نفسه، ص: 45.

يرتبط وجود البطل الإشكالي بالتحول في القيم الاجتماعية والإنسانية الحاصل في المجتمع الرأسمالي، وهو ما يثير مقولة أخرى أثراها **جورج لوكاتش** في طرحه السوسيولوجي للرواية، وهي قوله بالتَّشيُّؤ وربطه بالواقع الاقتصادي الرأسمالي ويرتكز في ذلك على فكرة كارل ماركس: "**تأليه السلعة**"[1]

ذلك أن الرأسمالية الاحتكارية تولي اهتمامها للقيمة التجارية للسلعة على حساب القيمة النفعية لها، والكمّ على حساب الكَيْف. فصارت الأشياء مسيطرة على العلاقات الاجتماعية وتحوَّلت هذه الأخيرة إلى "**علاقات تشييئية.**"[2]

فيغيب الفرد كإنسان عامل مُنتِج ويحُلُّ محلَّه السلعة كشيء مُنتَج، "**فتتحول القيم الإنسانية الصرفة إلى قيم سلعية تتحكم بشروط العمل بمعزل عن صورة العامل كإنسان، ليتم التأكيد على العامل كأداة إنتاج، والنظر إليه من خلال كمية إنتاجه التي تُغذِّي رأس المال وأصحابه.**"[3]

التَّشيُّؤ إذن هو تحول العلاقات بين البشر إلى ما يشبه علاقات آلية بين الأشياء، ويصبح الإنسان مجرَّداً من قدرته الفاعلة ليصبح مفعولا به، وكل ما ينتج عنه من جهد فكري وإبداعي هو عبارة عن قوى طبيعية غريبة عنه وتُفرض عليه، فالإنسان المتشيِّئ هو إنسان فاقد للحرية ومسلوب الهوية.

إن هذه المفاهيم الإجرائية تترابط فيما بينها ضمن ما يسميه غولدمان المنهج البنيوي التكويني، مُشكِّلة مساراً يربط بين ثلاثة نقاط ارتكازية هي: النص، والمبدع، والمجتمع.

---

[1] ينظر: جمال شحيّد: في البنيوية التكوينية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، ص: 43.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 44.

[3] المرجع نفسه، ص: 45.

III. ميخائيل باختين والمبدأ الحواري واللغة الاجتماعية:

يعد **ميخائيل باختين** Mikhail Bakhtine (1895م-1975م) "**أول من حاول الاستفادة من الفلسفة المادية الجدلية دون الإغراق في حرفيتها ودوغمائيتها، والاستفادة من النزعة الشكلانية من غير الالتزام والخضوع لصرامتها. وبلور آراءه النقدية في كتابيه: (الماركسية وفلسفة اللغة)، و(شعرية دوستويفسكي) في سنة 1929م.**"[1]

ارتبط اسم **ميخائيل باختين** بفكرة الحوارية واللغات الاجتماعية داخل النصوص الروائية، فالرواية في تصوره هي "**التنوع الاجتماعي للغات، وأحياناً للغات والأصوات الفردية، تنوعاً منظماً أدبياً.**"[2] وقدم نظرية نقدية جديدة للرواية تقوم على أساس أن الخطاب الروائي موسوم بتعدد الأصوات والألسن والرؤى، ذلك أنه خطاب ذو لغة واقعية، فتتباين شخوص الرواية وتختلف لغاتها وتتصارع إيديولوجياتها داخل النص، دون تدخل الكاتب في تغليبه لإيديولوجية ما على الأخرى، "**مما يفرض على الكاتب الحياد وعدم الانحياز لأي طرف ويجبره على العدل بين الشخصيات (الأصوات الممثلة للإيديولوجيات) من حيث نسبة وكيفية الحضور، والحرية في التعبير على الرأي...**"[3]

وفق مبدأ الحوارية يصنف **باختين** الرواية إلى: الرواية الحوارية أو الديالوجية وهي رواية متعددة الأصوات، والرواية المناجاتية أو المونولوجية والتي تتميز بأحادية الصوت. إلا أن **باختين** يفضل النوع الأول، ذلك أن الرواية الحوارية "**تمنح كل الأفكار الحق في التعبير والتمثل في هذا الملفوظ،كما**

---

[1] (بتصرف)، عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي، ص: 215.

[2] ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1987م، ص: 15.

[3] منيرة شرقي: المبدأ الحواري عند ميخائيل باختين، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، لبنان، العدد الثالث، سبتمبر 2014م، ص: 81.

تحقق صراعاً إيديولوجياً عميقاً، وتعدداً للآراء، ورؤية أكثر شمولاً للواقع، مما يُكسبها كمًّا من القراء الذين يجدون بها أفكارهم ورؤاهم المختلفة."[1]

لأن مبدأ الحوارية في الرواية يسمح بالتعبير عن مجموع أفكار الشخصيات، ويصبح الأسلوب عند **باختين** "...**هو رجلان، على الأقل أو بدقة أكثر، الرجل ومجموعته الاجتماعية مجسدين عبر الممثل المُفوَّض،المستمع، الذي يشارك بفعالية في الكلام الداخلي والخارجي للأول."**[2]

يُشدِّد باختين "**على العلاقة المتينة بين اللغة والإيديولوجيا، انطلاقاً من أن الوجود الاجتماعي ينجز أشكالاً من مختلفة للوعي، ويخضع في أساسه إلى طبيعة الوجود الفعلي للأفراد بوضعياتهم الاقتصادية والاجتماعية. فطبيعة التواصل الإنساني تجعل اللغة تشتغل بوصفها مجموعة من الأدلة المشبّعة بنظرات وتصورات الفئات والطبقات الاجتماعية، وتعبيراً عن رؤاهم الفكرية، وبالتالي تتخلى اللغة عن شفافيتها وحيادها، لتشكل وتتلون وفق النزعة الاجتماعية التي توظّفها."**[3]

فالرواية ليست خطاباً أدبياً أبدعه الكاتب ليحتكر لغته وأسلوبه وصوته، فتكون شخصيات الرواية بتنوعها انعكاساً له ولإيديولوجيته، بل الرواية – بحسب حوارية **باختين** – دلالة اجتماعية تسمح للشخصيات بالانعتاق من سلطة الكاتب اللغوية والفكرية؛ فتنطق بلسانها وتتكلم معبرة عن رؤاها للعالم دون قيد. وهو ما نجح فيه الروائي (دوستويفسكي)؛ حيث "**تمكّن من أن يجمع في رواياته، بين سيرته الذاتية المضطربة إيديولوجياً وبين الإيديولوجيات الماثلة في مجتمعه بشكل قلّما يتوفر لكاتب آخر فعل ذلك. وقد رأى باختين، في روايات هذا الروائي الفذّ، نموذجا رائعا للرواية المتعدّدة الأصوات التي تشخّص واقعا اجتماعيا تتصارع فيه الأفكار والأهواء والمصائر من خلال شخصيات مفردة من حيث الكلام الذي تتلفّظ به، لكن يظل محتوى**

---

[1] منيرة شرقي: المبدأ الحواري عند ميخائيل باختين، ص: 82.

[2] تزفيطان تودوروف: ميخائيل باختين والمبدأ الحواري، تر: فخري صالح، دار الفارس، عمان، الأردن، ط2، 1996م، ص: 124.

[3] عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي، ص: 215.

كلامها أو الملفوظ في حدّ ذاته اجتماعياً، لأن اللغة نسق من الدلائل يتواضع عليه مجموعة من الأفراد في نطاق ثقافة محدَّدة."[1]

باختين لا يقصد باللغة الاجتماعية مختلف الصيغ التركيبية والنحوية، وإنما الخلفيات السوسيو تاريخية، والطبقية للأفراد. ولم يرى في هذه اللغة دلائل فارغة من المحتوى الإيديولوجي بل رأى وجود علاقة بين الدليل اللغوي والمدلول الاجتماعي يقول **باختين:** "**أن كل ما هو إيديولوجي يملك مرجعاً ... فكل ما هو إيديولوجي هو في الوقت نفسه بمثابة دليل Signe.**"[2]

فيكون الحديث عن إيديولوجيا الرواية وليس الرواية بوصفها إيديولوجيا، "**فلا فصل لدى باختين بين اللغة الاجتماعية وتجلياتها الإيديولوجية، لأن كل لغة اجتماعية تعبِّر عن إيديولوجية متكلِّميها بلا وساطة.**"[3]

تغدو الرواية من منظور **باختين** "**جزء من ثقافة المجتمع ... وبهذا لا تظل الرواية صنعة وعناصر تقنية، إنها قبل كل شيء إدراك لأهمية اللغة / اللغات داخل المجتمع، وفي التراث المكتوب والشفوي، وصياغة للحوار بين الذات الساعية للمعرفة وبين العالم الخارجي.**"[4]

لذا يرفض **باختين** العلاقة السببية بين البنية الفوقية والبنية التحتية، التي تجعل من الأدب نتاج لاحق وُجد في ظروف موضوعية متميزة بعلاقات ووسائل إنتاج محددة. فيؤكد على "**أن البنية الفوقية ليست مجرد نتيجة، ولكنها امتداد للبنية التحتية وتجلٍّ آخر لها على المستوى الإيديولوجي.**"[5]

---

[1] محمد بن مالك: اللغة ورؤية العالم في الخطاب الروائي، الملتقى الوطني الأول حول اللسانيات والرواية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 23/22 فيفري 2012م، (د.ص).

[2] حميد لحمداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، ص: 74.

[3] باسم صالح حميد: النزعة الحوارية في الرواية، ص: 603.

[4] ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ص: 22.

[5] حميد لحمداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، ص: 75.

يلاحظ **حميد لحمداني** تشابهاً بين فكر **باختين** ومبادئ البنيوية التكوينية التي صاغها **غولدمان،** باعتبار أن الدليل بالنسبة للأول ليس نتاجاً للوعي الفردي، ولكنه يأخذ مدلوله في الحقل الاجتماعي. كما أن رؤية العالم في البنيوية التكوينية ليست من إبداع فردي ولكن الجماعة هي التي تكوّن تصوّراً ما يتبناه أفرادها، ومنهم المبدعون.[1]

إلا أنَّ الفرق بينهما "**قائم في خلو الجانب النظري للبنيوية التكوينية من مدخل لساني يُسهِّل مهمة التعامل مع النصوص الروائية، باعتبارها مجموعة أنساق من الدلائل، أو مجموعة أنساق إيديولوجية.**"[2] في حين ينطلق **باختين** من المعيار اللساني في تنظيره للرواية، بما أنه "**يتخذ من اللغة حجر الزاوية عندما يقرأ تاريخها ويُعيد تأويله.**"[3]

ضمن هذا الإطار يحدد **باختين** بعض التعريفات التي تعد نقاط التقاء بينه وبين منظرين آخرين سبقوه من بينهم: **هيجل،** و**الرومانسيون الألمان،** و**لوكاتش،** ولعل أهم هذه النقاط هو تعريفه للرواية وتخصيص جنسها الأدبي على أنه "**الجنس الوحيد الذي هو في صيرورة، فتمكنها هذه الخاصية من أن تعكس بعمق وجوهرية وحساسية أكثر، وبسرعة أكبر تطور الواقع نفسه؛ فوحده الذي يتطوّر يستطيع أن يفهم تطوّراً ما.**"[4]

يرى **باختين** أن على الأديب التزام الحيادية، ويضعها كشرط أساسي لتحقق الحوارية؛ فمؤلف الرواية المتعددة الأصوات "**مطالب لا في أن يتنازل عن نفسه وعن وعيه، وإنما في أن يتوسع إلى أقصى حدٍّ أيضاً في إعادة تركيب هذا الوعي... وذلك من أجل أن يصبح قادراً على استيعاب أشكال وعي الآخرين المساوية له في الحقوق.**"[5]

---

[1] ينظر: حميد لحمداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، ، ص: 77.

[2] المرجع نفسه، ص: 77.

[3] معجب بن سعيد الزهراني: نحو التلقي الحواري (مقاربة لأشكال تلقي كتابات ميخائيل باختين في السياق العربي)، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، 2002م، ص: 30.

[4] ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ص: 16.

[5] منيرة شرقي: المبدأ الحواري عند ميخائيل باختين، ص: 83/82.

كما يطالب **باختين** الروائي الاكتفاء "**بالتأليف بين اللغات المختلفة، وصياغتها بنائياً وفق ما ينسجم مع فنيات الرواية، فيُمكِّن الشخصية من المحافظة على لغتها الاجتماعية، ونبرتها المميزة وأسلوبها الخاص، وكذلك إيديولوجيتها الخاصة، وكلما تعددت اللغات تعددت الإيديولوجيات والأصوات.**"[1]

هذا التوسّع النظري الذي امتازت به المفاهيم والرؤى التي طرحها **باختين** من خلال مبدأ الحوارية ومقولة اللغات الاجتماعية، مستنداً في طرحه إلى "**الماركسية المنفتحة على الألسنية والأسلوبية والسيميائية، بهدف إبراز الطابع الغيري لدى الإنسان من خلال جدلية الفردي والاجتماعي، هو ما يعطي لكتابات باختين عن الرواية قدرتها الخصبة على ملاحقة الإشكاليات في صيرورتها وتحولاتها.**"[2]

وضع **ميخائيل باختين** أساساً ذا قيمة في نظرية الرواية، وساهم بشكل مهم في مجال سوسيولوجيا النص الروائي من خلال مقولاته: المبدأ الحواري، والحيادية المطلقة للكاتب الروائي. وتوجهه بالبحث الروائي إلى دراسة الصراع الإيديولوجي وتعدد الإيديولوجيات في الرواية دون تغليب إحداها على الأخرى، فتتحقق بذلك جمالية إبداعية جديدة في لحمتها مع البنية الأدبية.

[1] منيرة شرقي: المبدأ الحواري عند ميخائيل باختين، ص: 83.

[2] ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ص: 20.

IV. بيير فاليري زيما وسوسيولوجيا النص:

ظهر الاتجاه النقدي السوسيولوجي عند **بيير فاليري زيما** Pierre Valery Zima (1946م)[1] بشكل يختلف عن من سبق ذكرهم؛ لاتصالهم بالفلسفة الجدلية المادية، في حين توجَّه **زيما** ببحثه في النقد الروائي توجُّهاً آخر يسمى بـ: "سوسيولوجيا النص الروائي".

قدّم **بيير زيما** منهجه النقدي الجديد في كتابه: "(من أجل سوسيولوجيا النص الأدبي) في سنة 1978م، وكتاب (رغبة الأسطورة: قراءة سوسيولوجية لمارسيل بروست) في 1973م، و(الإزدواجية الروائية: بروست، كافكا، موزيل) سنة 1980م."[2] فأثرى مجال النقد السوسيولوجي بدراسات تنظيرية وتطبيقية قيِّمة.

يتضح الفرق بين سوسيولوجيا الرواية وسوسيولوجيا النص الروائي في "**أن الأولى تدل على منهج نقدي في الرواية يحصر اهتمامه في البحث عن سببية الظاهرة الروائية، ويركز على الجوانب المفسرة لحدوث النص الروائي، مما يجعل الحديث عن العناصر الخارجة بالنسبة للنص يحتل مكان الصدارة في التحليل.** "[3]

بينما تتجاوز سوسيولوجيا النص الأدبي هذا العجز في توحيد الدراسة النقدية بين داخل النص الأدبي وخارجه، لاعتقادها "**بأنها تمتلك الوسائل والتقنيات لتحليل الأعمال الأدبية من الداخل، أي تحليل المستوى التركيبي، والكشف من خلاله عن العلاقات الاجتماعية، في محاولة لإثبات التماثل الموجود بين البنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة في فترة تاريخية من جهة، والبنية اللسانية المتحققة في النص الروائي المدروس من جهة ثانية.**"[4]

---

[1] بيير زيما: النقد الاجتماعي، تر: عايدة لطفي، دار الفكر،القاهرة، ط1، 1991م، من مقدمة سيد بحراوي، ص: 10.

[2] المرجع نفسه، ص: 10.

[3] محمد عزام: تحليل النص الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص: 317.

[4] المرجع نفسه، ص: 317.

نقد **زيما** نظريات السوسيو نقد السابقة له، ورأى أن قراءتها للنصوص الأدبية أقرب للقراءة من خارج النص، فالتصور الغولدماني – حسب **بيير زيما** – "**لا يُحيل إلى أية نظرية دلالية، يمكن في إطارها تحديد مفهوم المعنى في علاقته بالمستوى النصِّي الحكائي، أي التركيبي والدلالي. فيتوارى النص في التحليل البنيوي التكويني وراء الحضور المكثَّف للعناصر الخارجية، سواء كانت ذات طبيعة اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية.** "[1]

في حين يقترب المنهج السوسيونصي عند **زيما** من المنظور السوسيو لغوي عند **باختين**؛ الذي ينطلق في دراسته التحليلية للنصوص الروائية من البنية الداخلية للنص ليتوصل بعدها إلى البنية الاجتماعية التي أفرزت هذا النص.

إلا أن **بيير زيما** يتجاوز فكرة **باختين** حول الحيادية المطلقة للكاتب ونصه في صراع الايديولوجيات وتعددها داخل النص، ليذهب زيما إلى رؤية مفادها "**أن النص الأدبي والروائي يشكِّل موقفاً إيديولوجياً متميزاً، يقف في مواجهة الوضعيات اللغوية الاجتماعية التي يزخر بها الواقع، فالرواية من هذا المنظور تحمل موقفاً إيديولوجياً صريحاً، يصارع بقية الإيديولوجيات.**"[2]

ينطلق **بيير زيما** في التأسيس لنظريته السوسيونصية من مجموع نظريات نقدية كثيرة؛ أي أن هذا المنهج لم ينشأ من عدم أو من تجاهل المناهج السابقة له، بل استفاد "**من الإنجاز المهم الذي حققه النقد الأدبي في العصر الحديث، من حيث إعادة الاعتبار إلى النص ، غير أنه لا يعتبره بنية مغلقة، وإنما هو كيان حي يعيش حياته عبر قوانينه الخاصة، ولكن يحمل ضمن هذه القوانين خصائص الحياة الاجتماعية التي يعيش في إطارها. كما حرص على الاستفادة من مناهج أخرى مثل: السيميائيات، البنيوية، التحليل النفسي، نظريات القراءة، مدرسة فرانكفورت.**"[3]

---

[1] حميد لحمداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، ص: 73.

[2] عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي، ص: 223

[3] محمد مريني: خطاب ما بعد البنيوية في النقد المغربي الحديث (في التنظير والإنجاز)، ص: 142.

هذه التوليفة الكبيرة بين النتائج التي توصلت إليها الشكلانية الروسية والبنيوية الحديثة، وإنجازات سوسيولوجيا الأدب،حقق لنظرية **بيير زيما** النقدية علميتها؛ "**لأن هذا النوع من الحوار النظري كان بإمكانه أن يُغني سوسيولوجيا النص الأدبي، ويجعل منها علماً للنص قائماً بذاته.**"[1]

في رأي **بيير زيما** أن علم اجتماع النص الأدبي يهتم "**بمسألة معرفة كيف تتجسد القضايا الاجتماعية والمصالح الجماعية في المستويات الدلالية والتركيبية والسردية للنص.**"[2] فهذا المنهج يرمي إلى دراسة تجليات المجتمع داخل البنية النصية، ومقاربة النص لاكتشاف العلاقة الرابطة بين النص والمستوى الاجتماعي والتاريخي من خلال بنيته اللغوية. باعتبار أن "**كل نص كيفما كان نوعه يتم إنتاجه ضمن بنية اجتماعية محددة. وتكمن إنتاجيته في كون التفاعل يحصل معه في إطار البنية نفسها.**"[3]

يتمحور المنهج النقدي للناقد **بيير زيما** في "**تحليل الخطاب اللغوي أو اللغوي الاجتماعي أو اللهجات الجماعية في النص؛ باعتبارها بنى اجتماعية بالماهية، تحمل خصائص اللحظة التاريخية التي تنتمي إليها، فمن تحليل الأسلوب أو اللغة داخل النص يصل إلى الدراسة التركيبية الدلالية المتكاملة، والقادرة على كشف النص والمجتمع في نفس الوقت ودون انفصال؛ باعتبار أن العلاقة بين المجتمع والنص ليست علاقة انفصال أو تأثير وإنما هي علاقة كمون بصفة أساسية.**"[4]

---

[1] عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي، ص: 221.

[2] محمد مريني: خطاب ما بعد البنيوية في النقد المغربي الحديث (في التنظير والإنجاز)، ص: 142.

[3] سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2006م، ص: 134.

[4] بيير زيما: نحو علم اجتماع النص الأدبي، ص: 09.

لذلك يعمد المنهج السوسيونصي إلى [1]:

1. الربط بين النص والبنية النصية الكبرى والبنية السوسيونصية التي أنتج في إطارها زمنياً لمعاينة إنتاجيته أو عدمها.
2. الربط بين النص والمجتمع كما يتجلى ذلك في تفاعل النص مع البنية النصية الكبرى أو (البنية النصية المنتجة) والسوسيونصية (البنية الاجتماعية) من خلال النص ذاته، على اعتبار أن العلاقة بين هذه البنيات هي علاقات تفاعل وجدل: علاقات هدم أو بناء، علاقات صراع أو تعايش.
3. أن النص والبنية النصية والبنيات الاجتماعية ليست منغلقة على ذاتها، فالتفاعل الحاصل بينها على مستوى النص، نجده أيضاً في علاقاتها مع بنيات خارجية (أجنبية) وعلى جميع المستويات. ويختلف دور هذا التفاعل مع هذه البنيات الخارجية باختلاف مراحل تطور المجتمع وبنياته السوسيونصية في تحولاتها.
4. كل هذه التفاعلات بين البنيات في مختلف تجلياتها لا تتم إلا من خلال تفاعل الذات من خلال فعل مزدوج: الكتابة والقراءة، سواء كانت هذه الذات هي ذات الكاتب أو ذات القارئ.

هكذا يذهب **بيير زيما** في محاولاته النقدية إلى "**بناء تصوّر لسوسيولوجيا نصية قادرة على تجاوز الصراع الذي ظل محتدماً بين الاتجاهات الاجتماعية والشكلانية الروسية. وهو صراع اتخذ صبغة تناقض بين الشّكل والمضمون. ولذلك فهو لا يرى أهمية في معارضة الشكل بالمضمون، وإنما ينبغي أن نعرف دائماً أن النسق اللغوي هو مجال تلتقي فيه المصالح الاجتماعية أيضاً. ويعتقد أن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية يمكنها أن تقدّم في النصّ الأدبي على شكل قضايا لسانية تتجسد من خلال طابعه التناصّي.**"[2]

---

[1] سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص: 139.

[2] محمد عزام: تحليل النص الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص: 318/317.

نستنتج من خلال هذا الفصل أن البنيوية التكوينية التي وضع بذور نشأتها **جورج لوكاتش** ليعمل **غولدمان** على تطويرها وصياغة مقولاتها الأساسية، أعادت للنقد السوسيولوجي وزنه المتميز ضمن الدراسات الروائية والأدبية عموماً. كما أن درس **باختين** وتنظيره للرواية انطلاقاً من مبدأ الحوارية وتعدد اللغات الاجتماعية داخل النص الروائي ألهمت العديد من المنظرين ومن بينهم **جوليا كريستيفا** (نظرية التناص) إلى تشكيل مفاهيم جديدة في مجال تداخل النصوص، كما أن تلميذه **بيير زيما** أبرز معالم سوسيولوجيا النص الأدبي التي قدمت للنقد الروائي تقنيات وأدوات إجرائية لإقامة العلاقة بين النص والعالم الخارجي.

الفصل الثاني

تجليات البنيوية التكوينية في كتاب: "الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي"

I- تقديم الكتاب.

II- المنطلقات المنهجية في كتاب "الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي".

III- الممارسة التطبيقية للحمداني في كتاب "الرواية ورؤية الواقع الاجتماعي.

I. تقديم الكتاب:

يعلن عنوان الكتاب: "**الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي،دراسة بنيوية تكوينية**"، عن المنهج الذي اتَّبعه **حميد لحمداني**[1] في دراسته للرواية المغربية مُحدِّداً لها من سنة 1956م (بداية استقلال المغرب) حتى سنة 1978م، ودرس فيها ثمانية عشر رواية لعشرة روائيين. وهو المنهج البنيوي التكويني أو السوسيوبنائي.

اختار الناقد المنهج البنيوي التكويني كمنهج جاء للموازنة بين المنهج اللغوي والمنهج الاجتماعي، ويفصح **لحمداني** عن ملائمة اختياره للموضوع المستهدف، ويصرح بأن المنهج السوسيوبنائي يقترب من "**الفهم العلمي لطبيعة العلاقة الموجودة بين الإبداع والواقع الاجتماعي الإنساني**."[2] موضِّحاً كون هذا المنهج يُسعف في الجمع بين زاويتين للمقاربة النقدية (النسقية، والسياقية).

الكتاب في الأصل رسالة جامعية، تقدَّم بها **حميد لحمداني** لنيل شهادة الدراسات العليا، بكلية الآداب بفاس في المغرب سنة 1982م، أشرف عليها الدكتور: **محمد الكتاني** وقام بتقديم الكتاب الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1985م، عن دار الثقافة بالدار البيضاء في المغرب. يتكون الكتاب من 574 صفحة.

يبدأ الناقد في منهجية دراسته بمدخل عام، فصَّل فيه طبيعة الموضوع "**ومهَّد فيه لمنهجه باتباعه المنهج السوسيولوجي منذ (بليخانوف) وحتى (غولدمان) مروراً بلوكاتش الذي اكتسب المنهج النقدي الجدلي على يديه صورة أكثر عمقاً وانسجاماً، وأقام دعائم سوسيولوجيا الرواية استناداً إلى النظرية الجدلية التي تفسر الفن بأنه تعبير غير مباشر عن الصراعات الاجتماعية**

---

[1] ناقد حداثي من المغرب بدأ مساره النقدي مع مطلع الثمانينيات، من أهم كتبه: من أجل تحليل سوسيوبنائي(1984م)، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي(1985م)، في التنظير والممارسة: دراسات في الرواية المغربية(1986م)،أسلوبية الرواية(1989م)، النقد الروائي والإيديولوجيا (1990م)، بنية النص السردي(1991م)،

[2] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 14.

القائمة في المجتمع. وجمع بين الإيديولوجي والفني من أجل الوصول إلى تقييم صحيح للإبداع الأدبي."[1]

قام الناقد بتتبع العلاقة القائمة بين الفن الروائي بالمجتمع تاريخياً، كما تضمَّن المدخل على خلفية سوسيولوجية لواقع المغرب قبل الاستعمار وبعد الاستقلال.

ثم يُدرج **لحمداني** بابين تطبيقيين أساسيين هما:

الباب الأول: الرواية المغربية وموقف المصالحة مع الواقع.

الباب الثاني: الرواية المغربية وموقف الانتقاد للمجتمع.

ليصل الناقد في خاتمة الكتاب إلى مجموعة من الاستنتاجات العامة المتوصَّل لها من خلال الدراسة.

كما تضمَّن الكتاب قِسماً وضع فيه الناقد بيبليوغرافيا عامة للرواية المغربية المكتوبة باللغة العربية، والصادرة ما بين 1956م إلى 1981م.

ألحق **لحمداني** دراسته بترجمة موجزة للروائيين الذين تم تناول رواياتهم بالتحليل في هذا الكتاب، مع ذكر أهم مؤلفاتهم. وتضمَّن الكتاب أيضاً قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها **لحمداني** في دراسته للرواية المغربية، ويختتم الكتاب بفهرسة للأبواب والفصول والعناوين الفرعية التي اشتملت عليها دراسته.

من مميزات هذا العمل النقدي كما يصفه **محمد الكتاني**، هو التكامل الحاصل بين عناصره؛ "**فالموضوع فيه هو المجتمع المغربي والرؤية الروائية، أي أن المجتمع والروائي والباحث كلها عناصر متكاملة. يكمل أحدها الآخر أو يعتبر أحدها عمقاً ضرورياً للآخر...بحيث لو تخلف أحدها أو كان غيره لكانت النتائج غير النتائج والمعطيات غير المعطيات.**"[2]

---

[1] محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص: 305.

[2] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص:ج.

يؤكِّد **الكتاني** على جدِّية البحث وجِدَّته، ذلك أن **لحمداني** لم يدَّخر جهداً في أن يستوفي بحثه مادته الروائية، وهو ما يؤكِّده عدد الأعمال الروائية المدروسة (18 متناً روائياً)، واتساع المجال الزمني للدراسة من سنة 1956م إلى غاية سنة 1978م، مع العلم أن **لحمداني** قام بدراسته ضمن رسالة جامعية سنة 1982م.

II. المنطلقات المنهجية في كتاب "الرواية ورؤية الواقع الاجتماعي":

يعتمد **حميد لحمداني** على مجموعة من الأسس والمصادر، يستوحي منها منهجه النقدي المتبع في الكتاب، ويمكن أن نسجلها في النقاط التالية:

أ. أسس البنيوية التكوينية في كتاب "الرواية ورؤية الواقع الاجتماعي":

ينطلق الناقد من أربع أسس يعتبرها المدخل الرئيس للتحليل البنيوي التكويني[1]:

1. أن الأدب ومنه الرواية بالطبع، له وظيفة ضمن البناء الفكري داخل أي مجتمع إنساني.
2. كل المجتمعات مهما بدت متماسكة، فإنها تحتوي على تناقضات داخلية عميقة.
3. لا يمكن اعتبار الأدب انعكاساً بسيطاً ومباشراً لصورة الواقع الاجتماعي.
4. فهم المضمون الاجتماعي في الأعمال الفنية لا يكتفي برصد بعض الجوانب الواقعية، ولكنه يفترض تحليل بنياتها التخيلية من أجل التوصُّل إلى رؤية المبدع الخاصة، هذه البنية تكون في الغالب متوارية خلف البناء السطحي للعمل الروائي.

ب. مصادر البنيوية التكوينية عند حميد لحمداني:

في قراءتنا لكتاب "**الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي**"، يمكننا الوقوف على ستة مصادر أساسية تؤطر عمل النقد الروائي عند **حميد لحمداني** في كتابه، وهذه المصادر تتفاوت في مدى أخذ الناقد من تنظيراتها، فبعضها يتصل بشكل مباشر بالبنيوية التكوينية منهجاً وممارسة، وبعضها الآخر يمكن اعتباره سبباً لبزوغ المنهج البنيوي التكويني:

1. ربط الناقد بين **تين** Taine؛ المحسوب على المنهج التاريخي، وبين البنيوية التكوينية، فقد حاول تين أن يربط بين الفن والتاريخ والعصر بشكل ملحوظ في صياغة منهجه التاريخي. فبعد أن وضَّح **لحمداني** المنطلقات الأربعة – السابق ذكرها – بادر إلى القول: "**بأنَّ هذه المنطلقات**

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 10/09.

مُستمَدَّة من منهج تمَّت صياغة مرتكزاته الأولية استناداً إلى فلسفة معيَّنة للتاريخ وللنشاط الإنساني بما فيه جانبه الإبداعي...".[1]

البنيوية التكوينية كما مرَّ بنا في الفصل الأول من هذا البحث، قامت بتجاوز أزمة المنهج البنيوي في استبعاد المؤثِّرات الخارجية التي يمكن أن تعطينا بعض السِّمات المميزة القادرة على وضع النص الروائي في سياقه التاريخي، ومن ثمة فهم مضمونه الاجتماعي والتاريخي كخطوة أساسية وضرورية لفهم النص الروائي، فلا يمكن الاستهانة بدور الصيرورة التاريخية والاجتماعية في تشكيل الوعي سواء لدى الكاتب أو في بنية الرواية نفسها.

ومع هذه الأهمية التي يُوليها **حميد لحمداني** لكتابات **تين** على الأقل من ناحية كونها إلهاماً حقيقياً للبنيوية التكوينية في جانب من جوانبها، إلا أنه يُصرِّح بأنَّ منهج **تين** لا يستجيب لكل الشروط والأبعاد التي يتوخاها بحثه في الرؤى الاجتماعية.[2]

2. كما يرجع **حميد لحمداني** في دراسته للرواية المغربية، إلى الاستفادة من الدرس البنيوي خاصة من خلال كتابات **فرديناند دو سوسور** Ferdinand De Saussure، خاصة في تركيزه على التحليل اللغوي الداخلي وعدم إهماله للمؤثرات الخارجية، مستشهداً بقوله: "**إنَّنا نعتقد بأن دراسة الظواهر اللغوية الخارجية مفيدة جدا، ولكن من الخطأ القول بأنه بدون هذه الظواهر لا يمكننا أن نعرف النسق اللغوي الداخلي.**"[3]

3. كما أن أفكار **جورج بليخانوف** Georguy Plekhnov وتنظيراته للنقد الأدبي الجدلي، تلامس بشكل كبير المنهج البنيوي التكويني من خلال مقولتي: الدلالة الاجتماعية والدلالة الفنية، ويشير **لحمداني** إلى أهمية تنظيرات **بليخانوف** عندما أدلَّ بقول له في أنَّ النقد المادي المنطقي والمتماسك يجب أن يتمثل في "**تقييم الخصائص الجمالية للأثر المأخوذ موضوع الدرس. أمَّا إذا**

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 10.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص: 13.

[3] المصدر نفسه، ص: 15.

رفض الناقد المادي القيام بمثل ذلك التقييم بحجة أنه سبق له العثور على المعادل السوسيولوجي للأثر، فسيكون قد أثبت أنه لا يفهم وجهة النظر التي يريد أن يعمل انطلاقاً منها."[1]

4. يرى **لحمداني** أن البنيوية التكوينية تتكئ على أبحاث **رونيه جيرارد** René Gerard، خاصة من خلال كتابه: (**كذب رومانطيقي وحقيقة روائية**)[2]، الذي يُعدُّ أهم كتاب يُفصِّل بين وهم الدراسات الانطباعية الشعرية وبين الحقيقة الروائية باعتبارها انعكاساً مباشراً لتفاعلات المجتمع، وأنَّ الفن هو في الأصل تعبير غير مباشر عن الصراعات الاجتماعية الحقيقية وليس انفصالاً عنه، وهو ما أعاد للرواية – باعتبارها جنساً حديثاً– دورها الاجتماعي الذي ظلَّ لفترة كبيرة مقتصراً على المسرح والشعر[3].

5. أما **لوكاتش** Lukacs فإن **لحمداني** يجعله على صلة مباشرة بمجال دراسته، مؤكِّداً على أهمية أبحاث هذا الناقد في دراسة الأعمال الروائية. الذي "**أقام دعائم سوسيولوجيا الرواية استناداً إلى النظرية الجدلية، التي تفسر الفن بأنه تعبير غير مباشر عن الصراعات الاجتماعية القائمة في أي مجتمع.**"[4]

كما أن **جورج لوكاتش** ترك إرثاً نقدياً مهماً لتلميذه لوسيان غولدمان، استلهم منه جُلَّ مفاهيم ومقولات المنهج البنيوي التكويني.

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 11/10.

[2] المصدر نفسه، ص: 11.

[3] محمد بنسعيد: النقد النسقي للرواية المغربية، مدونة المظلة (إبداع ونقد)، إسم المدوّن: laghtiri 1965، المغرب، 13 ديسمبر 2010م، 09:33 سا، http://laghtiri1965.arabblogs.com/archive/2010/12/1303700.html

[4] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 11.

6. يتمثَّل **حميد لحمداني** المنهج النقدي **لغولدمان** Goldmann، ويتبنى تصوراته حول المنهج البنيوي التكويني وفق ما جاء في كتاب "**من أجل سوسيولوجيا الرواية**"[1].

يؤكد **لحمداني** التزامه بتحاشي المقابلة المرآوية بين الظاهرة الأدبية والواقع الاجتماعي، فالتعامل مع النص الروائي، في نظر **لحمداني**، لا يجب أن يكون من منطلق المطابقة التامة بين النص والواقع الذي يستلهمه،"**لأن الأعمال الإبداعية تبني مضامينها في شكل صياغة مجازية تختلف اختلافاً كبيراً عن المضمون الواقعي...**"[2]

ويدافع **لحمداني** على أهمية المنهج البنيوي التكويني باعتباره أقدر المناهج على الكشف عن الظاهرة الروائية، ويعبر عن مستوى متقدم بالنسبة للمناهج المتقدمة عليه؛ لاقترابه من الروح العلمية في فهم الآثار الأدبية، وهو يشير في ذلك للمنهجين التاريخي والنفسي. وأن المنهج البنيوي والتكويني أكثر المناهج انفتاحاً على باقي القراءات، لأنه لا يحصر نفسه في زاوية مغلقة كما فعل المنهج البنيوي. فالمنهج البنيوي التكويني لا يتوقف عند عملية تحليل البناء الشكلي للعمل الأدبي بل يتعداه إلى الفهم الإيديولوجي والاجتماعي لهذا العمل.[3]

يسعى الناقد لأن تكون الممارسة النقدية للبنيوية التكوينية وفية للطرح الغولدماني؛ تنظيراً وتطبيقاً، خصوصاً فيما يتعلق بالمسار الإجرائي للدراسة، فيحدد مسارها ببعدين أساسيين هما "**التحليل والتفسير**" وفق منظور جدلي، يستهدف الأول الكشف عن البنية الفنية باعتبارها بنية تحمل وعيا وتعبر عن موقف وتجربة، لتسلك بعدها طريق التفسير لفهم أبعاد هذه البنية وطبيعتها الفنية والفكرية (الإيديولوجية) بإدراجها ضمن بنية أعم وهي البنية الاجتماعية. [4] معتمداً مفاهيم الجدل، ومبتعداً في نفس الوقت عن كل التأويلات الميتافيزيقية والقراءات السطحية لعلاقة الإبداع بالواقع.

---

[1] ينظر: حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)،ص: 13/11.

[2] المصدر نفسه، ص: 12.

[3] المصدر نفسه، ص: 15/14.

[4] المصدر نفسه، ص: 16/15.

يؤكِّد **لحمداني** أن دراسته لا تسقط في مزالق النظرة الإيديولوجية المباشرة، بقوله:"**أن الدراسة تحاول أن تتعامل مع الرواية أولا وقبل كل شيء كفن، ولذلك فهي تخوض عوالمها الذاتية من أجل اكتشاف قوانينها الخاصة، غير أنها في المرحلة الأخيرة تريد أن تضع الظاهرة الروائية في موضعها من البنى الفكرية المتصارعة في الواقع، وأن تحدد دورها الإيديولوجي ضمن هذه البنى، وذلك بكشف طبيعة تصورها للواقع الاجتماعي ونوعية موقفها من عناصره المختلفة.**"[1]

ضمن إطار الالتزام المنهجي يقدم الناقد تصوراً للواقع الاجتماعي المغربي خلال فترة تمتد من مرحلة ما قبل الاستعمار إلى ما يقرب من نهاية السبعينيات من القرن 19م، يشكل هذا التصور خلفية سوسيولوجية تعرَّض فيها إلى الواقع الاجتماعي في المغرب وبنيته الاجتماعية قبل الاستعمار الفرنسي وبعد الاستعمار، كما تطرق للخلفيات الاجتماعية والثقافية للحركة الوطنية ودورها في السيرورة التاريخية للمجتمع المغربي أثناء الفترة الاستعمارية، ثم انتقل للحديث عن مرحلة الاستقلال، والتركيبة الاجتماعية الجديدة التي شهدها المجتمع المغربي، وما تستلزمه من تشكل اتجاهات فكرية وإيديولوجية.

هذا التوجه المنهجي الذي اتخذته دراسة **لحمداني** للرواية المغربية ورؤيتها للواقع الاجتماعي المغربي، والدراسة التمهيدية التي قدمها من خلال عرض الخلفية السوسيولوجية، واللحظة التاريخية التي شهدت ميلاد الأعمال الروائية المدروسة، "**تتماشى بصورة جلية مع المسعى الذي سلكه غولدمان في كتابه "الإله المتواري"، حين تناول في الفصل المعنون "الأساس الاجتماعي والثقافي" للتقديم للحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية... ليدرج في سياقها تحليلاته لمسرحيات راسين، وكتاب الأفكار لباسكال.**"[2]

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 17.

[2] عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي، ص: 398.

يقول **لحمداني** فيما يخص مسعى دراسته،"**جاءت طريقة التحليل مستجيبة لمقتضيات المنهج، فكنا نبتدئ عادة بتحليل النصوص معتمدين في الغالب على مادتها وحدها، من أجل كشف بناها العميقة الدالة، مستخلصين في نهاية الأمر رؤى الكتاب الخاصة للمجتمع، وبعد ذلك كنا نقابل هذه الرؤى بالمؤثرات الاديديولوجية المناظرة لها، ثم نضعها في مكانها من البنية الفكرية العامة للمجتمع.**"[1]

حاول **لحمداني** في كتابه الإلمام بالمتن النظري للبنيوية التكوينية، وحرص في قراءاته للرواية المغربية على رصد الرؤى واختلافها للواقع المغربي، يدل على ذلك منطق تصنيفه للرواية المغربية وفق الموقف الذي يتخذه الكاتب من خلال عمله الروائي اتجاه القضايا الاجتماعية التي طبعت الساحة المغربية.

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 45.

III. الممارسة التطبيقية للحمداني في كتابه "الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي":

1. اختيار المادة الروائية:

تتناول دراسة **حميد لحمداني** الروايات المغربية المكتوبة باللغة العربية، وذلك لاعتقاده بأن الروايات المكتوبة بالفرنسية مثلا يجب أن تحظى هي الأخرى بدراسات مستقلة.

كما يميز بين المادة الروائية التي يجب دراستها، وبين تلك التي تكوّن ببليوغرافيا الروائية بالمغرب، التي هي –حسبه– "**أدب يقتصر في وجوده على كونه مسطراً في السجلات أو الببليوغرافيات أو موضوعاً على رفوف المكتبات، والسبب الأساسي في كون بعض النتاجات الأدبية لا تلقى اهتماماً من لدن المجتمع لأنها تفتقر للقيمة الجمالية...**"[1]

يختار **حميد لحمداني** متناً روائياً يتكون من ثمانية عشر نصّاً روائياً، ويُسقط من بحثه خمس روايات، وفق شروط أربعة يعتبرها معايير لاختياراته الروائية [2]:

أ- ضرورة توفر سلامة التعبير والصياغة اللغوية بصفة عامة.

ب- تماسك العمل النسبي، واحتواؤه على ارتباط منطقي داخلي.

ج- لا ينبغي أن تكون درجة اهتمام النقد بالعمل معدومة.

د- احتواء العمل الروائي على بعد اجتماعي وعدم ارتباطه الضيق بالهموم الفردية الذاتية اليومية.

يذهب **محمد بنسعيد** إلى القول بنسبية هذه الشروط ذلك أنَّ "**سوء الأسلوب من سلامته معيار لا يثبت أمام الدرس النقدي، كما أن تماسك العمل الداخلي هو مسألة نسبية أيضا، إذ لكل رواية تماسكها الخاص، فيكفي في الرواية أن تتمسك بالحد الأدنى من الشروط لتعتبر رواية ولو مجازاً على سبيل التوسيع.**"[3] مستشهداً برواية (النار والاختيار) لخناثة بنونة، التي نشرت

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 38.

[2] المصدر نفسه، ص: 38.

[3] محمد بنسعيد: النقد النسقي للرواية المغربية، (مقال إلكتروني).

لأول مرة ضمن مجموعة قصصية، ليعاد نشرها في ما بعد مستقلة كرواية. فمسألة تجنيس العمل الإبداعي هي اختيار مباشر من المبدع، فهو الوحيد الذي يملك حق ذلك.[1]

أما بما يتعلق بالهم الفردي فشرط مردود عليه،" **فقد اختار الباحث (في الطفولة) لعبد المجيد بنجلون، وهي أبعد ما تكون من الرواية، فهي تصنف ضمن السيرة الذاتية، موغلة في الذاتية وهمومها، ومع ذلك لم يستبعدها الباحث من متن دراسته.**"[2]

من هنا نصل إلى أن **لحمداني** وإن قدّم معايير موضوعية فيما يخص اختياره للمتن الروائي محل الدراسة، إلا أنها معايير نسبية ولا يمكن سحبها على جميع النصوص الروائية المغربية، فمسألة الاختيار هذه تبقى متعلقة بالباحث لاعتبارات شخصية أو علمية.

نأتي على ذكر النصوص المدروسة في الكتاب [3] :

1. (في الطفولة) لعبد المجيد بن جلون الطبعة الأولى 1957م.
2. (سبعة أبواب) لعبد الكريم غلاب الطبعة الأولى 1965م.
3. (دفنا الماضي) لعبد الكريم غلاب الطبعة الأولى 1966م.
4. (المعلم علي) لعبد الكريم غلاب الطبعة الأولى 1971م.
5. (المرأة والوردة) لمحمد زفزاف الطبعة الأولى 1972م.
6. (أرصفة وجدران) لمحمد زفزاف الطبعة الأولى 1974م.
7. (قبور في الماء) لمحمد زفزاف الطبعة الأولى 1978م.
8. (الطيبون) لمبارك ربيع الطبعة الأولى 1972م.
9. (الريح الشتوية) لمبارك ربيع الطبعة الأولى 1977م.
10. (رفقة السلاح والقمر) لمبارك ربيع الطبعة الأولى 1976م.

---

[1] محمد بنسعيد: النقد النسقي للرواية المغربية، (مقال إلكتروني).

[2] المرجع نفسه.

[3] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 39/38.

11. (الغربة) لعبد الله العروي الطبعة الأولى 1971م.
12. (اليتيم) لعبد الله العروي الطبعة الأولى 1978م.
13. (جيل الظمأ) لمحمد عزيز الحبابي الطبعة الأولى 1967م.
14. (أكسير الحياة) لمحمد عزيز الحبابي الطبعة الأولى 1974م.
15. (حاجز الثلج) لسعيد علوش الطبعة الأولى 1974م.
16. (المغتربون) لأحمد الاحسايني الطبعة الأولى 1974م.
17. (زمن بين الولادة والحلم) لأحمد المديني الطبعة الأولى 1976م.
18. (أبراج المدينة) لمحمد عز الدين التازي الطبعة الأولى 1978م.

أما الروايات التي قام **لحمداني** باختزالها من عمله تجنباً لتكرار الموضوع، فهي [1]:

19. (رواد المجهول) لأحمد عبد السلام البقالي الطبعة الأولى 1956م
20. (النار والاختيار) لخناثة بنونة الطبعة الأولى 1966م.
21. (شقراء الريف) لعبد العزيز بن عبد الله الطبعة الأولى 1973م.
22. (بامو) لأحمد زياد الطبعة الأولى 1974م
23. (المهاجر) لعبد الرحمان الشريف الشرقي الطبعة الأولى 1978م.

كما استبعد الناقد ثمانية روايات رأى أنها غير صالحة لأن تكون مادة للتحليل والدراسة، وهي كالآتي[2]:

1. (أمطار الرحمة) لعبد الرحمان المريني الطبعة الأولى 1965م.
2. (إنها الحياة) لإسماعيل البوعناني الطبعة الأولى 1965م.
3. (ضحايا حب) لمحمد بن التهامي الطبعة الأولى 1965م.
4. (بوتقة الحياة) لـ البكري أحمد السباعي الطبعة الأولى 1966م.

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 39.

[2] المصدر نفسه، ص: 40/39.

5. (المخاض) لـ البكري أحمد السباعي الطبعة الأولى 1972م.
6. (غداً تتبدل الأرض) لفاطمة الراوي الطبعة الأولى 1967م.
7. (الهاربة) لمحمد السعيد الرجراجي الطبعة الأولى 1973م.
8. (الطوفان الأزرق) لأحمد عبد السلام البقالي الطبعة الأولى 1976م.

يذكر **حميد لحمداني** الأسباب الدقيقة وراء استبعاده لبعض الروايات المغربية، وذلك لاشتراكها في مميزات تجعل منها مادة روائية غير قادرة على عكس رؤية واضحة ومنسجمة للواقع الاجتماعي، ويلخص هذه المميزات في النقاط التالية [1]:

1. التفكك اللغوي والتعبيري، وتتفاوت هذه الروايات في درجة التفكك، إذ يسقط بعضها فيما يشبه المحاولات الإنشائية لدى المبتدئين.
2. التقليد المبتذل لبعض النماذج الروائية الرومانسية الشرقية، وكذلك لبعض الروايات الغربية البوليسية، مثلا: رواية (غداً تتبدل الأرض) لفاطمة الراوي، و(ضحايا حب) لمحمد بن التهامي.
3. ظهور نزوات الكاتب واضحة، والإعلان عنها مباشرة في شكل تعاطف مع بعض الشخصيات الروائية ومن بينها الشخصيات النسوية على الخصوص.
4. كثرة المفاجآت غير المتوقعة، ويرجع هذا إلى ضعف القدرة على توفير تماسك حكائي في مجموع العمل.
5. تقلبات غير منتظرة في سلوك الشخصيات الروائية... وقد يتبع هذا تناقض فاضح بين السلوك ونوعية التفكير.
6. إغراق موضوع الروايات بهموم الحياة اليومية والمشاكل الفردية الضيقة.ويترتب عن هذا أن رؤى الكتاب تبقى مفككة وسطحية، الشيء الذي يصعب معه إيجاد ناظم فكري محدد تقوم عليه هذه الروايات.

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 40.

"ولهذه الأسباب كلها فإن الروايات لا تدخل في علاقة تساؤل حقيقية مع الواقع، بل إنها تعبر في الغالب عن نوع من الرضى بالواقع الاجتماعي الكائن. وإذا اتخذ بعضها مظهر الثورية والتجاوز للواقع فإن ذلك لا يعدو أن يكون نزوة عابرة تفسرها تقلبات أمزجة الشخصيات وعدم استقرارها على خط سلوكي وفكري واضح."[1]

منطق اختيار المادة الروائية الذي انتهجه **لحمداني** ليحدد مجال دراسته، عمد من خلاله إلى استبعاد الكثير من الروايات المغربية، فقط لأنها لا تخضع لمقاييس المنهج البنيوي التكويني. هو ما ذهب إليه محمد بنسعيد في نقد وجهه **لحميد لحمداني**، باستبعاد هذا الأخير رواية (الطوفان الأزرق) لأحمد عبد السلام البقالي، يقول في ذلك: **"ولعل هذا الموقف لا يمكن بأية حال أن يكون موقفاً علمياً... وقد رأيت أن أعود إلى الرواية لأكتشف موطن الخلل في هذه الرواية بالمقاييس التي تحدث عنها حميد لحمداني، فوجدت أنها رواية مقبولة لا تختلف كثيرا من حيث أسلوبها عن بقية الروايات المغربية، في طريقة الحكي المباشر وبناء الأحداث، والأمر الوحيد الذي يميزها أنها رواية تنتمي للخيال العلمي تتحدث عن آفاق التطور العلمي بسلبياته وايجابياته... مع حضور قوي للقضية الاجتماعية بنظرة مستقبلية ورؤية استشرافية، وربما هذا ما لم يرق للناقد، أما اللغة فهي عربية بسيطة تذكرنا بلغة زفزاف."**[2]

مؤكداً على قوة الوصف في هذه الرواية، وانسجام الأسلوب... وأن **لحمداني** وقع في مغالطة أن هذه الرواية قريبة إلى الخيال العلمي، ومنه استنتج ابتعادها عن القضية الاجتماعية. في حين أنها أكثر الروايات التصاقاً بالقضية الاجتماعية ولكن في مستوى آخر غير الواقع البسيط الذي نعيشه، وإنما الواقع الاستشرافي المستقبلي، وكأنها تصف الواقع الذي سيكون لا الواقع الكائن. ولو اعتمد الناقد هذه الرواية لكان قد توصل إلى نتائج أكثر شمولاً باستحضار البعد المستقبلي من الواقع المغربي.[3]

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 40.

[2] محمد بنسعيد: النقد النسقي للرواية المغربية، (مقال إلكتروني).

[3] المرجع نفسه.

2. البحث عن البنية الدالة في الرواية المغربية:

تُشكِّل الروايات المغربية المدروسة في كتاب **لحمداني** رؤية للواقع الاجتماعي، يحاول فيه الناقد "**أن يستخلص بنية كل رواية على حدا، و يعتبرها بنية دالة يمكن أن تدمج مع غيرها في البنية الضامة التي تفسرها، وتحدد دلالتها الوظيفية بالنسبة للكاتب وللمجموعة الاجتماعية التي تعبر عنها.**"[1]

وفق هذه الرؤية النقدية، يرى **حميد لحمداني** أن الروايات المدروسة تقف-عموما- موقفين من واقعها:

1. موقف المصالحة مع الواقع وتحكمه عوامل منها: اللحظة السعيدة والتبرير والانهزام والتسجيل.
2. موقف انتقادي للواقع الاجتماعي، وتتوزعه هواجس وتحديات مثل: العلاقة مع الغرب، التردد والارتباك (الطريق المسدود) ومعاناة الأزمة والصراع.[2]

جاء هذا التصنيف نتيجة دراسة تمهيدية قام بها الناقد في مستهل كتابه للواقع الاجتماعي والفكري في المغرب في الفترة المحددة: قبل الاستعمار إلى غاية عهد الاستقلال، فهو تصنيف قائم على ما يؤمن به الناقد من فعالية دور الأدب في الواقع الاجتماعي.

ويحصر الناقد هذه الفعالية في وجهين أساسيين:

- الوجه الأول سلبي، "**يهدف في الغالب إلى الحفاظ على القيم السائدة في الواقع أو هو في حدوده القصوى يهدف إلى تحقيق توازن أقصى للفئة الاجتماعية التي يعبر عنها لكي ترى نفسها في انسجام كامل مع الواقع الكائن، وغالبا ما يكون هذا الأدب شديد الارتباط**

---

[1] محمد خرماش: إشكالية المنهج في النقد الأدبي المعاصر، أنفو- برنت، فاس، المغرب، ط1، 2001م، ص: 117.

[2] إدريس الناقوري: البنيوية التكوينية (النظرية والتطبيق في النقد المغربي)، مجلة فكر ونقد، السنة الأولى، عدد السادس، يناير 1998م، ص: 73.

بمصالح وطموحات هذه الفئة وحدها، دون أن يتخذ مضمونه بعداً إنسانياً يمكن أن تتجاوب معه فئات أخرى من المجتمع."[1]

- الوجه الثاني إيجابي، "**يهدف إلى تغيير القيم اللاإنسانية السائدة، وذلك بانتقاد الواقع الكائن والاحتجاج على ما يجري فيه.**"[2] **وإن كان هو الآخر يعبر عن طموحات شريحة اجتماعية ما، إلا أنه يتخذ لذلك بعداً إنسانياً.**[3]

ذلك أن **حميد لحمداني** يحرص على محاولة تحديد وضبط العلاقة الجدلية الرابطة بين النص الروائي وبين المجتمع واللحظة التاريخية التي شهدت ميلادها.

إنَّ تقسيم الرواية إلى مضامين وتيمات محدَّدة من شأنه أن يُغيِّب مضامين أخرى ويعزلها من سياقاتها الحقيقية فتبدو مبتذلة، "**وهذا الطابع الانتقائي الذي يشير في جانب منه إلى التوجه البحثي الأكاديمي للناقد، والتزامه بحرفية الرؤية المنهجية، يعكس من جهة أخرى نظرة إقصائية مسبقة، تستثني أي دور للتطلعات والهموم الذاتية في عكس البنيات الفكرية لقطاعات من المجتمع.**"[4]

يرى **عمر عيلان** أن في هذا الإقصاء لنصوص روائية تقصير نقدي من قبل الناقد، وسقوط في النظرة التبسيطية "**في إدراك الانشغالات الذاتية، التي بإمكانها أن تشكل وعيا غيريا، وبنية فكرية تتمظهر في الواقع بوصفها رؤية منتجة لشكل من أشكال الوعي القائمة في المجتمع.**"[5] لذا نكون أمام تصنيف مجحف لروايات تشكل قيمة فنية واجتماعية، وإن كان أصحابها قد حمَّلوها همّاً ذاتياً.

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 17.

[2] المصدر نفسه، ص: 17.

[3] المصدر نفسه، ص: 17.

[4] عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي، ص: 398.

[5] المرجع نفسه، ص: 398.

سنقوم في الجدول التالي بتصنيف الروايات بحسب موقفها من الواقع، وفق تصور الناقد **حميد لحمداني** لها:

	موقف المصالحة واللحظة السعيدة	موقف المصالحة بين التبرير والانهزام والتسجيل
الرواية المغربية وموقف المصالحة مع الواقع	سبعة أبواب 1965م دفنا الماضي 1966م المعلم علي 1971م	جيل الظمأ 1967م أكسير الحياة 1974م المغتربون 1974م رفقة السلاح والقمر 1976م الريح الشتوية 1977م

	انتقاد الواقع وهاجس الغرب	انتقاد الواقع والطريق المسدود	انتقاد الواقع وهاجس الصراع
الرواية المغربية وموقف الانتقاد للمجتمع	في الطفولة 1957م الغربة 1971م المرأة والوردة 1972م اليتيم 1978م	أرصفة وجدران1974م حاجز الثلج 1974م زمن بين الولادة والحلم 1976م أبراج المدينة 1978م	الطيبون 1972م قبور في الماء 1978م

2-1- البنية الدالة على المصالحة مع الواقع:

يضع **لحمداني** عنواناً للباب الأول:"**الرواية المغربية وموقف المصالحة مع الواقع**"، ومن الكلمات التي تستوقف القارئ؛ كلمة: (موقف)، فهي تدل على الاقتناع الفكري اتجاه طرف أو قضية أو واقعة معينة، وهذا المعنى ذاته يلامس جانباً من مفهوم رؤية العالم، ونفهم من هذا أن الروايات التي درسها **لحمداني** في هذا الباب تجسد رؤية ما للعالم، أهم مميزاتها النزوح إلى المصالحة مع الواقع الاجتماعي القائم.

كما "**تعني المصالحة قبليا أن هناك صراع ماض، ويفترض هذا الصراع نوعا من المشاركة والحوار للوصول إلى قاعدة مشتركة بين الروائي ومجتمعه ليتم هذا التصالح، هذا الموقف لا يتشكل بجرة قلم وفي لحظة زمنية قصيرة، بل يحتاج إلى فهم جوهري لحركية المجتمع المغربي الروائي.**"[1]

ضمن **الفصل الأول**، المعنون بـ: "**موقف المصالحة واللحظة السعيدة**"، ينطلق **لحمداني** في مقاربته للرواية المغربية من فكرة أساسية مفادها أن "**الرواية الإيجابية هي التي تتجاوز في رؤيتها ما هو موجود في الواقع، وهذا هو سر القيمة الإنسانية والفنية لأي عمل إبداعي، على اعتبار انه ليس عملا ثانويا في حياة الإنسان وإنما يساهم في تأسيس المستقبل الإنساني.**"[2]

والغريب أن يُدرج **لحمداني** ثلاثة روايات تعود جميعها للروائي عبد الكريم غلاب، تمثل قمة المصالحة مع الواقع، وهي على التوالي: (رواية سبعة أبواب)، و(رواية دفنا الماضي)،و(رواية المعلم علي).

ربما نجد ما يزيح هذه الغرابة في تفسير **لحمداني** على أن ما يجمع بين هذه الروايات الثلاثة هو: "**أنها روايات كُتبت في مرحلة الاستقلال. كما أنها روايات تهتم بفترة سابقة عن الفترة التي كتبت فيها، وهي تعالج كلها مراحل سابقة عن الاستقلال تمتد تقريباً من سنة 1930م**

---

[1] محمد بنسعيد: النقد النسقي للرواية المغربية، (مقال إلكتروني).

[2] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 107.

إلى 1956م."[1] كما تشترك في أنها لا تشتمل في متنها على ما يدل على فترة الاستقلال، وجميعها تنتهي بنهايات سعيدة [2]

في رواية (سبعة أبواب) التي يمكن اعتبارها نوعاً من السيرة النضالية للمؤلف، يضع الناقد البنية الدالة للرواية في عنوان: "**العثور على الذات في النضال الوطني**"، فقد حملت بنية دالة تمثلت في دخول الذات في صراع مع واقع مرير مليء بضروب الاعتقال والسجن، والألم والاحتقان السياسي.

في بحثنا عن تطبيقات المنهج البنيوي التكويني، يستوقفنا قول للناقد: "**إن أي كاتب مهما كان شعوره بالتفرد بفلسفة خاصة لابد أن يكون محكوماً في رؤيته للواقع بتصور إيديولوجي معين، تتبناه فئته الاجتماعية التي ينتمي إليها، أو فئة أخرى يتبنى تصوراتها... وواضح أن الكاتب الذي نحن بصدده يتبنى فكراً أيديولوجيا له أطروحاته المعروفة، وله مرتكزاته الاقتصادية والاجتماعية الخاصة.**"[3] يدل هذا القول على إقامة علاقة مباشرة بين رؤية الكاتب **عبد الكريم غلاب** ورؤية طبقة اجتماعية ما، وربط آخر بين رؤية الكاتب وإيديولوجية تلك الطبقة.

يقول **محمد عزام** في هذا الصدد أن عبد الكريم غلاب "**لم تتجاوز رؤيته مرحلة الحصول على الاستقلال، ولا يمكن لفكره أن يعكس تطابقاً كاملاً من (الوعي القائم) للفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها أو يعبّر عنها.**"[4]

لذلك اقتصرت روايات غلاب على التعبير عن "**(الوعي الممكن) عند بعض فصائل البورجوازية الوطنية فذلك يعني أنها لم تأخذ بعين الاعتبار أصناف الوعي الممكن للفئات الاجتماعية الأخرى، وخاصة تلك التي كانت تنتقد الواقع وتطمح إلى ما هو أفضل. ولهذا ظلت روايات**

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 107.

[2] المصدر نفسه، ص: 108.

[3] المصدر نفسه، ص: 125.

[4] محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص: 306.

غلاب تدور في نطاق التصالح مع الواقع الكائن، لأنها لسان حال البورجوازية السائدة التي استلمت مواقع الاستعمار."[1]

يُسجِّل **لحمداني** تفاوتاً بين الوعي الإيديولوجي للكاتب، ونوعية التصور الذي تضمره رواية (سبعة أبواب)، وذلك أن فكرة الشعب الموحد التي ركزت عليها الرواية كانت تخفي وراءها أهدافاً ذات طابع طبقي بمفهوم بورجوازي، منها التطلع إلى تولي سلطة الدولة الوطنية ذات التوجه الليبرالي السلفي بعد الاستقلال، من ذلك ما نجده في الرواية المدروسة من "**إلغاء لدور أهل البادية في الثورة ومجابهة المستعمر.**"[2]

يُشير **حميد لحمداني** إلى أنَّ رواية (سبعة أبواب) حملت **وعياً زائفاً** بالواقع الاجتماعي، من خلال عزل مناطق البادية عن العمل الثوري والنضالي، وجعل الزمرة الصغيرة (أهل المدن) في طليعة المواجهة وتحدي المستعمر.

أيضاً تمثل **الوعي الزائف** في التأسيس لصراع وحيد، هو الصراع بين الأمة والاستعمار، دون الإشارة إلى أي صراع داخلي في عنصر الأمة، وذهبت إلى إخضاع عناصر الأمة إلى نظام الرتب، "**بدل أن تصور الصراع الذي كان يوجد بينها، وإلغاء هذا الصراع يتلائم ووقوف الكاتب عند تلك النهاية السعيدة التي صورها في الحلم ..وتصبح الرواية هكذا منغلقة على ذاتها، وتوقف التاريخ في هذه اللحظة السعيدة، التي يكون فيها التاريخ نفسه غير قابل للوقوف.**"[3]

---

[1] محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص: 307/306.

[2] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 126.

[3] المصدر نفسه، ص: 129.

يصل الناقد في نهاية تحليله السوسيولوجي لهذه الرواية إلى عقد تماثل بين رواية (سبعة أبواب) لعبد الكريم غلاب ورواية (دون كيشوت) لسيرفانتس، والمتمثل في تضخيم الحدث الذاتي وتحويله إلى شكل بطولي. وأن الواقع الاجتماعي يظهر بصورة باهتة، ما يجعلها رواية تراهن على المجتمع للحفاظ على الذات وحدها.[1]

في تحليله لرواية (دفنا الماضي) يحدد الناقد البنية الدالة المتمثلة في صراع بين جيلين، جيل قديم وآخر حديث، كما صورت معاناة الجيل الجديد في ظل واقع يشوبه التخلف الاجتماعي للجيل القديم، والتدخل الاستعماري.[2] وهو ما توصل إليه **لحمداني** من تحليل لملامح شخصيات الرواية التي ترفض كل تراض مع الماضي، وتشيح بوجهها عن كل تواطؤ مع الحاضر.

يتجلى توظيف **لحمداني** لمفهوم رؤية العالم حينما تحدَّث عن **البنية السطحية** باعتبارها وجهاً مباشراً يُحيل إلى **بنية عميقة** تحمل رؤية الكاتب الخاصة للواقع الاجتماعي، وهي رؤية قائمة على صراع الأجيال بدل صراع الطبقات، يؤججه الاختلاف في العقلية، وهو ما علّق عليه **لحمداني** بقوله: "**إنَّ هذا التقابل بين الأجيال وسيلة يتم بواسطتها إتلاف طبيعة الصراع، وليس هناك من شك في أن هذه المسألة لم تكن مبيَّتة في الرواية، ولكنها رؤية خاصة للماضي تتطابق مع ذلك التصور الذي كانت تتبناه البورجوازية الوطنية نفسها أثناء ممارستها للكفاح الوطني.**"[3]

يستنتج الناقد بعد تحليله لرواية (دفنا الماضي) "**أنَّ تشخيص صراع الأجيال والاكتفاء بالصراع الرئيسي مع المستعمر يجعل الرواية تفقد أي بعد حقيقي فيما يتعلق بالصيرورة الاجتماعية... وبهذا تنتفي عن العمل الروائي القيمة الفكرية التي تتجلى دائما فيما يمكن أن يُسهم به من تحفيز للواقع على التطور نحو الأفضل، أو النظر له نظرة ثورية احتجاجية على**

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 132/131.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص: 135.

[3] المصدر نفسه، ص: 160.

قيم غير إنسانية سائدة."[1] فيحكم الناقد على مبدع الرواية بأنه اكتفى بالعملية التسجيلية للواقعة الاجتماعية.

يتوصل **لحمداني** إلى نقطة جوهرية فيما يخص طبيعة الرؤية لرواية (دفنا الماضي) أنها تماثل للرؤية التي تمسكت بها البورجوازية الوطنية، والتي دفعت بكتابها للعودة إلى الماضي بحثا عن أمجاد تجاوزها الزمن في ظل التحول الذي طرأ على بنية المجتمع المغربي، هذه الرؤية تكاد تتحكم في أعمال غلاب، على أن روايته (دفنا الماضي) –مقارنة بروايته (سبعة أبواب)– أقرب إلى تحقيق النظرة الشمولية للواقع الاجتماعي.[2]

في دراسة الناقد لرواية (المعلم علي) والتي تختلف عن سابقاتها برصدها لواقع المجتمع المغربي في صورته الخارجية؛ وبالأخص ذات الطابع الفولكلوري، دون أن تنفذ إلى صميم المجتمع ومشكلاته.[3] ومن تجليات الرؤية الخاصة للكاتب في الرواية هو تركيزه على المشكلة النقابية، لأن "**الصراع النقابي وملابساته ما هما إلا مظهران من مظاهر الصراع الاجتماعي...**"[4] بالإضافة إلى أن الكاتب سعى إلى إبراز فكرة أساسية مفادها أن الوعي الاجتماعي لدى العمال "**نشأ متلاحماً ومرتبطاً، وبفضل النخبة المفكرة أو الزمرة الصغيرة التي قادتها الحركة النضالية ضد الاستعمار.**"[5]

وهو ما يمثل واقعاً قائماً في المجتمع المغربي خلال الفترة التاريخية التي تصورها الرواية وهي الفترة الاستعمارية وما حملتها من تهميش لليد العاملة المغربية، وضعف الوعي النقابي عند هؤلاء... إلا أن الكاتب يقدم صورة سلبية عن العامل المغربي، وهو ما نعتبره –بحسب تقديرنا– وعياً خاطئاً للواقع،

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 164/163.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص: 166.

[3] المصدر نفسه، ص: 182.

[4] المصدر نفسه، ص: 182.

[5] المصدر نفسه، ص: 182.

يثبته **لحمداني** بقوله: "**إن الوقائع التاريخية تؤكد على أن العمال المغاربة كان لهم تأثير كبير في الأحداث السياسية والاجتماعية، لأنهم خلقوا تياراً خاصاً في صفوف الحركة الوطنية...**"[1]

من الاستنتاجات التي سجلها **حميد لحمداني** على روايات غلاب، أن هناك تفاوتاً واضطراباً للرؤية، وهو يعزو ذلك إلى تأثير الايدولوجيا...[2] كما أن هذه الروايات تقف عند حدود الاحتجاج على الواقع، دون أن تبحث عن قيم جديدة، بل إنها تسعى إلى مصالحة ذلك الواقع والوقوف عند لحظة الاستقلال.

بناء على ذلك يقر **لحمداني** بأن "**التجرد النسبي من الايدولوجيا والإخلاص للحقيقة الإنسانية التي هي الحقيقة الاجتماعية يمكّن من رؤية عميقة للواقع الاجتماعي، رؤية أكثر إنسانية تتجلى فيها عبقرية الروائي، حيث المضمون الاجتماعي غنياً، والموقف الذي يتخذه انتقادياً نحو بناء أفق اجتماعي أفضل... إن الفن نقيض المصالحة مع الواقع الاجتماعي...**"[3]

يكون **لحمداني** بقراءته لروايات **عبد الكريم غلاب** عن طريق مقابلة البنى النصية العميقة بالبنى الاجتماعية، قد توصل إلى تحديد موقعها وعلاقتها بالرؤية الإيجابية المطلوب توفرها في العمل الروائي الراقي؛ أي أن يكون العمل معبّراً عن طموحات وتطلعات سامية ممكنة التحقيق.

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 185.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص: 190.

[3] المصدر نفسه، ص: 198.

في **الفصل الثاني** يدرج الناقد البنية الضامَّة لمجموع الروايات المدروسة بعنوان: "**موقف المصالحة بين التبرير والانهزام والتسجيل**"، فإذا كانت روايات عبد الكريم غلاب تقف -حسب رأي **لحمداني**- عند حدود اللحظة السعيدة، وبقائها عاجزة عن تحليل الواقع الاجتماعي وفهم الظاهرة الاجتماعية المغربية في جميع أبعادها السلبية والإيجابية. وعدم إسهامها في تطوير الواقع ووقوفها كشاهد فقط...[1] فإن أعمالا أخرى لا تكاد تتجاوز حدود التعبير عن تجليات أخرى للمصالحة مع الواقع، ويتعلق الأمر بخمس روايات هي: (جيل الظمأ) لمحمد عزيز الحبابي، (إكسير الحياة) لمحمد عزيز الحبابي كذلك، (المغتربون) لأحمد الإحسايني، (رفقة السلاح والقمر) لمبارك ربيع، (الريح الشتوية) لمبارك ربيع كذلك.

يصف **لحمداني** رواية (جيل الظمأ) بأنها تتوفر على طاقة إيهامية، تكمن في انتقاد بعض المظاهر السلبية التي عرفها الواقع الاجتماعي في فترة ما بعد الاستقلال...كما عالجت قضية الفوارق الاجتماعية، ولكن على هامش الصراع بين الأجيال...[2] وأن الصفة الانتقادية التي حملتها ليست إلا وهماً سطحياً ذات طابع فردي...[3]

فرواية (جيل الظمأ) تكشف عن أزمة لدى المثقف العربي البورجوازي، وفي كشف لرؤية الكاتب يربط لحمداني بينها وبين "**الرؤية الفلسفية المثالية التي عجزت عن النظر إلى الواقع الاجتماعي بطريقة علمية قادرة على فهم الظاهرة الاجتماعية ومحركاتها الأساسية... وبهذا فهي تقع في مطب النظرة التجزيئية.**"[4]

أما (إكسير الحياة) فتصف تفاوتاً حادّاً بين طبقتين اجتماعيتين: طبقة الفقراء وطبقة الأغنياء، ولكنها لا تنفذ إلى عمق ذلك الصراع، ولم ترصد أسبابه الموضوعية، وذلك لأنها حاولت تفسير

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 203.

[2] المصدر نفسه، ص: 205.

[3] المصدر نفسه، ص: 207/206.

[4] المصدر نفسه، ص: 209/208.

المشاكل الاجتماعية من منطلق غيبي...[1] فلا تقدم هذه الرواية أي رؤية جديدة لواقع المجتمع المغربي.

كما تكتفي رواية (المغتربون) بتحليل الواقع تحليلاً ساذجاً دون تجاوز حدود التعبير عن قبول الأمر الواقع، والبحث عن سبل التكيف مع ظروفه، وبذلك فرؤيتها لا تختلف عن الرؤية السابقة، ذلك "**أن الوعي الساذج بالظاهرة الاجتماعية لابد وأن يرتد في نهاية الأمر إلى موقف متصالح مع الواقع، فتتحول الصيحة والإدانة إلى الانحناء بإجلال أمام قهر الظرف الاجتماعي.**"[2]

تتَّخذ رواية (رفقة السلاح والقمر) منحى آخر في اختيار موضوعها، وهو الحديث عن القضية العربية، وتسجل وقائع حرب رمضان سنة 1973م ضد العدو الصهيوني. ولعل سبب إدراج **لحمداني** لها ضمن دراسته للرواية المغربية ورؤيتها للواقع المغربي، سوى أنها رواية صاحبها مغربي الجنسية، وتضم أبطالاً وشخصيات مغربية، باعتبار أن الفكر جانب هام من جوانب الظاهرة الاجتماعية، ويشير الناقد إلى أن ما يهمه في دراسته لهذه الرواية هو[3]:

أولاً: رؤية الكاتب كما تبدو من النص الروائي، كما ينبغي تحديد منطلقاته الفكرية المحددة لرؤيته الخاصة.

ثانياً: فهم سلوك الأبطال، وما يعكسونه من مواقف فكرية مغربية اتجاه القضية العربية.

يلاحظ **لحمداني** انطلاقاً من مميزات الموقع الفكري (الإيديولوجي) لرواية (رفقة السلاح والقمر) لمبارك ربيع، "**أنها لا تعدو أن تكون شهادة تسجيل لواقعة اجتماعية، وفق تصور خاص يرتد إلى الموقف الإيديولوجي للفئات الاجتماعية السائدة، رغم محاولات الحياد التي حاول الروائي التحلي بها.**"[4]

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 218/217.

[2] المصدر نفسه، ص: 226.

[3] المصدر نفسه، ص: 230.

[4] المصدر نفسه، ص: 235.

رواية (الريح الشتوية) هي مثل الروايات التي سبق دراستها، ذلك أن **لحمداني** يلاحظ بأنها روايات "**تنتهي إلى موقف واحد، أو موقف متطابق، فهو في خطوطه العامة ينتهي إلى رؤية متشابهة ويقف في حدود تجريبية فنية متقاربة أيضا أبرز سماتها: التفكك والميل إلى الوصف...**"[1]

يتساءل **لحمداني** عن سبب هذا السقوط الفني والمضموني، ويذهب إلى احتمال ارتباطه بقضية حتمية كالتي أشار إليها (العروي)، في "**أن الرواية لا يمكن أن توجد في العالم العربي لأنه عالم يعيش في أطراف العالم الغربي أين نشأت الرواية الحقيقية. والرواية الحقيقية هي التي تتضمن شكلا روائيا يتطابق وشكل المجتمع، ووضوح في الرؤية للصراع الاجتماعي...**"[2]

يربط **لحمداني** بين رواية (دفنا الماضي) لعبد الكريم غلاب ورواية (ريح شتوية) لمبارك ربيع، إذ أن هذا الأخير سار على نهج الأول من حيث طريقة التعامل مع الظاهرة الاجتماعية، فقام بنقل الحياة الاجتماعية "**من خلال عالم تخيلي يخلص نسبيا لمحاكاة الحياة اليومية ومظاهرها الخارجية ويقع أيضا في شرك النظرة الأثنوغرافية.**"[3]

يخلُص **لحمداني** بعد العملية التحليلية لرواية (ريح شتوية) إلى أنها تقدم شكلا روائياً مستهلكاً، كونها تعبر عن رؤية متأخرة للواقع الاجتماعي دون أن تؤسس أية رؤية جديدة له. وأن حيادية مبارك ربيع دفعت به إلى مساندة الفكر السائد.[4]

إن أبرز ملاحظة يسجلها **لحمداني** على الروايات المدروسة في الباب الأول هو كونها لا ترقى إلى تبني رؤية أرحب تمكنها من تجاوز حدود الكائن، والتطلع إلى ما هو ممكن، ولن تتوافر تلك الرؤية إلا بشروط أهمها مساءلة الواقع، والتحلي بالمرونة الإيديولوجية والإخلاص للحقيقة الإنسانية.

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 239.

[2] عبد الله العروي: الإيديولوجية العربية المعاصرة، تر: محمد عيتاني، دار الحقيقة للطبع والنشر، بيروت، ط1، 1970م، ص: 278/277، نقلا عن: حميد لحمداني: المصدر السابق، ص: 240/239.

[3] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 241.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص: 248/246.

2-2-بنية الدالة على انتقاد الواقع:

يعرض الناقد ضمن الباب الثاني، عشرة روايات، يرى أنها تتبنى موقفاً انتقادياً للواقع الاجتماعي، مع تفاوت واختلاف نسبي بينها، دفعه ذلك إلى توزيعها على ثلاث فصول.

ضم **الفصل الأول** أربعة روايات هي على التوالي: (في الطفولة) لعبد المجيد بن جلون، (المرأة والوردة) لمحمد زفزاف، (الغربة) لعبد الله العروي، (اليتيم) لعبد الله العروي كذلك، تم تصنيفها من تماثل بناها الدالة التي تشكل موقف "**انتقاد الواقع الاجتماعي وهاجس الغرب**".

فهذه الروايات إلى جانب كونها تشترك في انتقاد الواقع الاجتماعي، تثير بشكل متفاوت علاقة المجتمع المغربي بالغرب، لا من منظور الغرب المستعمِر، بل من منظور الغرب كمجموعة قيم حضارية بجانبها السلبي، وجانبها الإيجابي أيضاً.

ويحدِّد **لحمداني** مهمته في "**إبراز وجهة الموقف الانتقادي لكل رواية في معالجتها للواقع الاجتماعي، ودرجته ونوعيته، ثم تحديد مواقف الأبطال اتجاه الحضارة الغربية.**"[1]

رواية (في الطفولة) والتي تنتمي إلى روايات السيرة الذاتية، حاولت إبراز التفاوت الحضاري المتمثل في تفوق الغرب. وهو مؤشر جعل **لحمداني** يربط رؤية الرواية بطبيعة الايدولوجيا التي تتبناها البورجوازية المغربية ويحملها الكاتب **عبد المجيد بن جلون**[2].

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 253.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص: 255/254.

يرى **لحمداني** أن الرواية المذكورة تعبر عن رؤية انتقادية للواقع الاجتماعي، تتخذ شكل رفض حضاري وارتماء كامل في مجال الجذب الغربي، ولكن يبقى من إيجابيات الرواية قدرتها على كشف العيوب الحضارية و تعريتها بمقابلة بين واقع اجتماعي مثالي، هو الواقع الغربي، وواقع مغربي متخلف. أما رواية (الغربة) فقد نجحت في تجاوز مرحلة تصوير الواقع الاجتماعي إلى محاولة تقديم وعي شامل بالقضايا الاجتماعية المغربية في علاقتها بالحضارة الاستعمارية، وإعطاء رؤية عن طبيعة الواقع الاجتماعي والفكري في بلاد الغرب، وتكوين موقف من الغرب كحضارة قائمة...[1]

يستنتج **لحمداني** أن رواية (الغربة) تتميز من حيث الناحية الفنية [2]:

1. تعقُّد شكلها وبنائها الفني.
2. غموض الدلالات، وإغراقها في التعبير عن العواطف أكثر من تصوير الأحداث، فتخلصت من رتابته واستخدمت الرمز الأسطوري.

أما من حيث المضامين فمن أهم الملاحظات التي يسجلها **لحمداني**[3]:

1. أنها رواية رصدت الحالة النفسية لفئة اجتماعية من المجتمع المغربي، محاولة أن تظهر طبقة البورجوازية الصغيرة كناطق باسم الهموم التي كانت تعانيها الشرائح الفقيرة...
2. اكتسبت الصفة النقدية للواقع الاجتماعي من خلال انتقاد اللحظة السعيدة (الاستقلال) التي انتهت إليها روايات غلاب و (الريح الشتوية) **لمبارك ربيع**، فهذه اللحظة كانت منبع شقاء الأبطال في رواية (الغربة).
3. وقد ساعدها طابعها الملحمي من الانتقال إلى نظرة شمولية، وتجاوز الواقع المأساوي لأفراد الطبقة البورجوازية الصغيرة إلى مجال أوسع وأشمل.

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 281.

[2] المصدر نفسه، ص: 286.

[3] المصدر نفسه، ص: 288/287.

لا تختلف رواية (المرأة والوردة) عن سابقتها كثيراً، فهي أيضاً تقدم انتقاداً للواقع الاجتماعي بالمغرب، وحصر **لحمداني** جوانب هذه الرؤية الانتقادية في[1]:

1. وجود الفوارق الاجتماعية الفئوية.
2. انعدام الحرية الفردية.
3. التبعية للغرب.
4. الحرمان الاجتماعي المعيشي، والجنسي.

عالجت الرواية بعض القضايا الاجتماعية كمشكلة الجنس، والحب والجريمة. نهج في أسلوبها **محمد زفزاف** أسلوب **كافكا** في رواياته القصيرة، منها توظيف تقنيات مختلفة، كالمسخ والحلم، والمحاكمات، فعبرت الرواية عن المضامين بأسلوب جديد. لتنتهي الرواية إلى اتخاذ موقف هروبي من الواقع، والتلويح بموقف يدعو إلى التشبث بالغرب والارتماء في أحضانه...[2]

يعتبر **لحمداني** رواية (اليتيم) رواية تتجاوز "**الهموم الذاتية لترسم مشاكل المجتمع من منظور خاص، لدرجة تتداخل فيها المأساة الذاتية والمأساة الموضوعية.**"[3]

كما يشير **لحمداني** إلى **البطل الإشكالي** الذي قدمته الرواية في صورة البطل (إدريس)، والذي يقول الناقد فيه: "**أنه إنسان متشرنق داخل همومه الخاصة يبحث عبثاً عن قيم جديدة في مجتمع يعاني من التمزق والفقر والتفاوت الطبقي.**"[4] فيصور الروائي **عبد الله العروي** الخصائص النفسية لبطل روايته من "**انهيار نفسي، ويأس، وإهمال للذات والانكفاء عليها...**"[5]

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 317/316.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص: 317/316.

[3] المصدر نفسه، ص: 326.

[4] المصدر نفسه، ص: 327.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ص: 328/327.

يثير **لحمداني** نقطة مركزية في دراسته النقدية، تعد ملاحظة منهجية مهمة حددها بقوله:"**إن العمل الفني هو أولا وقبل كل شيء تعبير أو خطاب إيديولوجي. غير أنه لابد من التمييز هنا بين نوعين من الخطاب؛ خطاب يمثل الإيديولوجيا السائدة وخطاب يمثل الايديولوجيا غير السائدة. واستناداً إلى التاريخ نرى أن الإيديولوجيات السائدة هي أبعد أنواع الإيديولوجيا عن الرؤية الموضوعية. في حين أن الإيديولوجيات المعارضة تكون في الغالب أقرب إلى الموضوعية في تحليلها للواقع.**"[1]

ويخلص من هذا "**أن النتاجات الفكرية والإبداعية التي تدور في المجال الأول غالبا ما تتبنى عالما خاصا ولا تستقطب جميع عناصر الواقع، وهي تعمد إلى هذا الإلغاء الجزئي ليتحقق في منظورها الفكري الانسجام المطلوب اللاغي للتناقضات التي يشهدها الواقع، وتبعا لذلك تلغي الرؤية المستقبلية.**"[2]

بينما يرى أن "**الإيديولوجيات غير السائدة تميل في نتاجاتها الفنية إلى تشريح الواقع وإبراز جميع عناصره أو جلها، حتى يمكنها أن تثير عناصر النقيض أمام ما هو موجود، هذا النقيض الرامز إلى ضرورة التغيير.**"[3]

يعقد **لحمداني** تماثلاً بين مضمون العمل الابداعي ومضمون الواقع الموضوعي كما كانت تتصوره البورجوازية الصغيرة، وهو بذلك يذهب إلى مقابلة مضمون الرواية بإيديولوجيا البورجوازية الصغيرة نفسها. مع أخذ الحيطة من الوقوع في المقابلة المباشرة بينهما... ومراعاة وحدة النص وطابعه التخيلي...

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 336/335.

[2] المصدر نفسه، ص: 336.

[3] المصدر نفسه، ص:336.

وقد نجحت رواية (اليتيم) في تحقيق هذا التقارب بين مضمونها الإبداعي والواقع الموضوعي كما تصورت البورجوازية الصغيرة، وبما أن هذه الأخيرة كانت تملك إيديولوجيا غير سائدة، كان موقفها النقدي – الذي يغلب عليه طابع تشريح الواقع وإظهار الجوانب السلبية فيه– يتعامل مع هذا الواقع بطريقة أقرب إلى الشمولية، "**فكشفت أشكال التخلف الداخلية بما فيها تخلف المرأة وتخلف الفكر، وطبيعة العلاقة مع الغرب...**"[1]

لا يعني هذا أن رواية (اليتيم) نجحت في تقديم بديل، بل إنها تكتفي كسابقتها بعملية الانتقاد للواقع، دون أن تنتقل إلى تأسيس واقتراح بدائل لتجسيد الطموحات التي عبرت عنها، ويدل هذا بشكل واضح على الحدود التي وصلت إليها رؤية الكاتب الخاصة.

يرى **لحمداني** أن مجموع المواقف التي اتخذتها الروايات المدروسة في هذا الفصل، تشكل مساراً تطوريا لفكرة العلاقة مع الغرب، من موقف انبهاري سلبي يخلو من الانتقاد... ثم تمر بخطوة أكثر إيجابية يتم فيها التمييز بين ما هو سلبي وبين ما هو إيجابي، ثم تنتهي إلى تبين الحقيقة الأساسية التي ترى في الغرب خصماً أكثر مما ترى فيه موطناً نافعاً. ويرى الناقد أن الموقف الأخير للرواية المغربية ورؤيتها للعلاقة مع الغرب، هو موقف إيجابي بحكم أن الاستفادة من الغرب لا تتحقق إلا إذا كانت العلاقة تقوم على أساس متكافئ.[2]

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 357.

[2] المصدر نفسه، ص: 390.

بينما يضم **الفصل الثاني**، الذي حمل عنوان "**انتقاد الواقع والطريق المسدود**" أربع روايات هي: (أرصفة وجدران) لمحمد زفزاف، (حاجز الثلج) لسعيد علوش، (زمن بين الولادة والحلم) لأحمد المديني، (أبراج المدينة) لمحمد عز الدين التازي.

إن الدافع الذي جعل **لحمداني** يدرس هذه الروايات في فصل واحد هو ذلك "**الالتقاء العام في الرؤية والمواقف النهائية من الواقع، مع الاختلاف في بعض الجزئيات التي نجدها بين كاتب إلى آخر. وتلتقي الروايات الأربعة ضمن رؤية تستند إلى تصور واحد ينطلق مبدئياً من العداء للواقع، وينتهي إلى أنه لا أمل في المستقبل...**"[1]

رواية (أرصفة وجدران) تتبنى رؤية وجودية جعلتها تشير إلى عبثية العالم والواقع الاجتماعي، وتكتفي بانتقاد شمولي للوجود أو انتقاد ضمني للواقع الاجتماعي. "**ويتجلى الجانب السلبي في هذا الانتقاد في الرؤية التجريدية الوجودية وما يترتب عنها من نزعة قدرية تعتبر طبيعة العالم ثابتة وغير قابلة للتغيير، فما على الإنسان إلا أن يقبل مصيره المأساوي أو أن يظل يواجهه بلا طائل حتى الموت، وبذلك يكون قد انتصر على العالم.**"[2]

في دراسة **لحمداني** لرواية (حاجز الثلج) يشير إلى انتفاء الطابع الواقعي التقليدي عن الروايات التي تعبر عن موقف انتقادي ينتهي إلى طريق مسدود، ومن بينها هذه الرواية التي هو بصدد دراستها. ويمثل بطل الرواية في تصور **لحمداني**، "**شخصية الروائي ذاته**"[3].

يتوصل الناقد إلى خلاصة حول الرواية محل الدراسة، تفيد بأنها رواية "**تفتقر إلى تماسك الرؤية بسبب عدم استناد الكاتب إلى ركائز فكرية أو فلسفية واضحة، وقد انعكس ذلك على**

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 363.

[2] المصدر نفسه، ص: 385.

[3] المصدر نفسه، ص: 390.

المستوى الفني لبناء الرواية ... ومع ذلك فهي تحتفظ بطابعها الانتقادي وتسجل استحالة التغيير في واقع مليء بالحواجز."[1]

يُعنْون **لحمداني** دراسته لرواية (زمن بين الولادة والحلم) بـ:"**مقالة في إدانة الواقع الاجتماعي**" وفي ذلك إشارة إلى الطابع الانفعالي الذي يغلب في معالجة الروائي **أحمد المديني** للواقع الاجتماعي، نتيجة غياب التحليل المنطقي العقلاني للظاهرة الاجتماعية مما جعله يرتمي في أحضان إدانة هوجاء لا تميز بين إيجابي وسلبي أو تقترح بدائل لما تدينه، و إذا كان الحلم يشكل محاولة تجاوز فإنها تفشل أمام كثرة الإحباطات وتعدد ألوان الشكوى... تجعل من الحلم وهما. [2]

يرى **لحمداني** أن رواية (أبراج المدينة) تمثل وثيقة احتجاج ضد الواقع الاجتماعي دون أن تعمد إلى تحليل ذلك الواقع، وما يميزها عن سابقتها هو انتقادها "**لبعض الاختيارات السياسية والإيديولوجية والنقابية اليسارية التي كانت تروم التطهير أو الإصلاح أو التصالح**."[3]

لا تقدم رواية **عز الدين التازي** أي حل للأزمة الاجتماعية، والدليل على ذلك ما يمثله البطل الإشكالي في رواية (أبراج المدينة)؛ من حالة التناقض بين أن يكون مشدوداً إلى " **أقصى درجات الثورة والتمرد، ومن جانب آخر مشدوداً إلى أقصى درجات الاستسلام**."[4]

يربط الناقد بين حالة التناقض التي يعيشها بطل الرواية، وبين حالات التمزق التي يعيشها بعض مثقفي البورجوازية الصغيرة، الذين يعيشون أزمة وعي الأزمة كما أشار إليها الناقد **نجيب العوفي** في قوله: "...**إنها كما قلت أزمة وعي الأزمة أكثر منها أزمة وعي، أي أن الخلل المكوّن للأزمة ليس قائماً داخل الوعي بقدر ما هو قائم خارجه، في الوعي المضاد**."[5]

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 405/404.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص: 422، ص: 426.

[3] المصدر نفسه، ص: 439.

[4] المصدر نفسه، ص: 441.

[5] نجيب العوفي: أبراج المدينة (بين تداعي اللغة وتداعي الوعي) درجة الوعي في الكتابة، دار النشر المغربية، 1980م، ص: 371، نقلا عن: حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، ص: 439.

فحسب رؤية **لحمداني** أن أزمة الطبقة البورجوازية الصغيرة تكمن في وعيها وإدراكها "**بأن مفاتيح التغيير هي في أيدي طبقة الفقراء المعدمين؛ فهي الصانع الوحيد للتاريخ.**"[1]

لذلك فرواية (أبراج المدينة) لا تطرح بديلا للأزمة، ولا تبني مجموعة الطموحات التي تصورها الطبقة البورجوازية الصغيرة.

أما **الفصل الثالث** والأخير، فيستعرض عملين روائيين هما: (الطيبون) لمبارك ربيع، و(قبور في الماء) لمحمد زفزاف. ويعتبر **لحمداني** هذين العملين بداية الوعي الانتقادي ونضجه في فكر البورجوازية الصغيرة في المغرب، ليقوم بمساءلة القيم السائدة ويصبو إلى البديل.

يتوجه **لحمداني** إلى استخراج البنيات الدالة ورصدها من خلال تحليل النصوص الروائية، والتركيز على محاورة بنائها الفني الداخلي ومكوناته؛ من شخصيات، وأحداث، والإطار الزماني والمكاني، وتحليل المواقف الفكرية والاجتماعية.

فيصرح الناقد أن الروائي **مبارك ربيع** بإصداره لرواية (الطيبون)، يكون قد تقدم بالواقعية في الكتابة الروائية المغربية خطوة كبيرة، وجعلها تقترب بشكل قوي من الواقعية البلزاكية، أو على الأقل تقترب من شكل الواقعية عند **نجيب محفوظ**.[2]

يحصر **لحمداني** ملامح الكتابة الروائية الواقعية في رواية (الطيبون) في النقاط التالية:

1. **أهمية الراوي**: تتحدد أهمية الرواي عند **لحمداني** في أنها شخصية "**تقدم لنا كل شيئ، إنها تضعنا أمام مشاكل وقضايا وتحاول في نف الوقت أن تقودنا إلى الحلول الممكنة...إنه يقود الأبطال إلى اتخاذ المواقف ورفض بعض القيم أو قبول بعضها الآخر، دون أن يخلط بين ذاته وذواتهم. فيمارس بذلك هيمنته على العمل الحكائي، ويتخذ مظهر الحياد الدائم في ذات الوقت، ما يُكسب السرد طابعاً هادئاً.**"[3]

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 441.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص: 451.

[3] المصدر نفسه، ص: 453/452.

2. **احترام مقاييس المكان والزمان:** يتجه **لحمداني** في هذا العنصر إلى دراسة الإطار المكاني والزماني وفق طبيعة الأحداث في رواية (الطيبون)، فيرى أن الكاتب اهتم بوصف الأمكنة "**كما يوظفها لخدمة الأحداث، فقد يجعل المكان معبراً عن الشعور الداخلي لبعض الأبطال، أو يمتد اهتمامه بالمكان ليشمل استحضار أمكنة واقعية.**"[1]

ويجد الناقد أن **مبارك ربيع** في تعامله مع الزمن، لم يخرج عن الإطار التقليدي المعروف في الروايات الواقعية، "**فليس في الرواية تداخل زمني يحطم قاعدة الترابط المنطقي للأحداث ...كما أنه لم يعط للزمن بعداً رمزيا يتجاوز الحدود التي قصدها أثناء صياغة عمله الروائي.**"[2]

3. **تعدد الشخصيات:** ما يميز رواية (الطيبون) لدى **لحمداني** هو تصويرها "**لأنماط بشرية تلخص بسلوكها نماذج متباينة من أفراد المجتمع، وتمثل في نفس الوقت أصواتاً إيديولوجية متمايزة.**"[3] ويذكرنا هذا العنصر بما تطرقنا إليه في الفصل الأول ضمن ما يسميه **باختين** بـ: "الرواية الحوارية"، والتي تضمن تعدد الأصوات وتعدد الإيديولوجيات شرط أن يلتزم الكاتب بالحيادية.

يتحدث **لحمداني** عن البناء المضموني في رواية (الطيبون)، الذي تراوح بين التعبير عن الهموم الفردية، والاختيارات الاجتماعية والمواقف الايديولوجية؛ وهي مجموعة من المشاريع التي كان على بطل الرواية (قاسم) تحديد موقف منها؛ "**مشروع الأرض، المشروع الخيري، مشروع الضياع في عالم الخمر، المشروع الصوفي، المشروع الثوري**".[4]

تتمايز رواية (الطيبون) عن روايتي (رفقة السلاح والقمر) و(الريح الشتوية) للكاتب نفسه وذلك راجع – في تصور **لحمداني**– إلى أن الكاتب **مبارك ربيع** غيَّر أفكاره بعد الفترة التي كتب فيها رواية (الطيبون)؛ ويستند في ذلك إلى قاعدة نقدية تقوم على "**أن تفسير المضمون الإبداعي**

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 454.

[2] المصدر نفسه، ص: 456.

[3] المصدر نفسه، ص: 456.

[4] ينظر: المصدر نفسه، ص: 469/457.

في الأعمال الروائية لا ينبغي أن يكون على الانتماء الاجتماعي للكاتب بشكل مباشر، ولكنه ينبغي أن يقوم على أساس البنية الفكرية التي يقع الكاتب تحت تأثيرها."[1] فهي إلى جانب أنها تشكل نضجاً فنياً تنم عن رؤية ثورية ذات أفق متفائل، ولذلك يعدها **لحمداني** بداية تبلور الوعي الانتقادي في الرواية المغربية.

يتطرق **لحمداني** في دراسته لرواية (قبور في الماء) للروائي **محمد زفزاف** إلى العناصر ذاتها التي سبق أن تطرق لها بالتحليل في دراسته للرواية السابقة (الطيبون)؛ فتحدث عن الجانب الفني للرواية، بداية بدور الراوي، وتقنية الزمان والمكان، إلى دراسة الشخصيات وتعددها.

ليصل الناقد إلى تحديد رؤية الكاتب للواقع الاجتماعي التي طبعها صاحبها بصبغة نقدية هادئة ذات أفق مفتوح، وأكسبها "**بعداً فلسفياً بنزعة إنسانية، وهذا ما جعله يعبر عن نضج فكري متميز في سياق التعبير عن إيديولوجية البورجوازية الصغيرة بالمغرب.**"[2] هذه النتيجة يصل إليها **لحمداني** بناء على مقدمات يحددها بقوله: "**إننا ننطلق من أن رؤية الكاتب ليست مستمدة من تحليله المباشر للواقع، ولكن من خلال وعي جمعي هو وعي الطبقة أو الفئة التي تمارس تأثيرها الإيديولوجي عليه، وهو يعبر في الغالب عن رؤية خاصة للعالم تتبناها طبقته.**"[3]

ليؤكد **لحمداني** الأسس الأولى التي وضعها كمنطلقات لبداية دراسته، وقد أشرنا إليها في موقع سابق من البحث.

يتحدث **حميد لحمداني** عن تطور رؤية الكاتب **محمد زفزاف** مع احتفاظها بالطابع الانتقادي؛ فبعد أن كان يدين الواقع الاجتماعي المغربي ويعبر عن رغبة في الهروب والارتماء في أحضان الغرب، من خلال رواية (المرأة والوردة)، ليتحول في رواية (أرصفة وجدران) إلى التعبير عن

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 472.

[2] المصدر نفسه، ص: 517.

[3] المصدر نفسه، ص: 518.

رؤية مصبوغة بفلسفة وجودية متشائمة، وانتقل مع رواية (قبور في الماء) إلى تبني خيار التحليل الموضوعي والهادئ للواقع.[1]

يربط **لحمداني** رؤية الكاتب **محمد زفزاف** في روايته (قبور في الماء) بإيديولوجيا البورجوازية الصغيرة التي تمتلك وعيا بحقيقة الركود الاجتماعي، هذا الوعي الذي يصبح شرطاً عند **لحمداني** "**ليكون هناك نزوع نحو الانعتاق...**"[2]

على هذا فرواية (قبور في الماء) هي في نظر **لحمداني** مرحلة تحول واعدة في مسيرة الرواية العربية المغربية؛ "**بما أثارته من قضايا عميقة الصلة بالواقع الاجتماعي في فترة السبعينيات، وبقيمتها الجمالية المتجلية في الانسجام الداخلي، وبطابعها الحكائي المجازي الخالي من ذيول السيرة الذاتية.**"[3]

إن الخطوات السابقة التي خاضها الناقد **حميد لحمداني** في تحليل الروايات المغربية قادته إلى خلاصة حول الرؤى التي حاول الكتاب المغاربة التعبير عنها، وهي رؤى على تفاوتها من حيث التعامل مع الواقع فإنها تلتقي في كونها خلفية فكرية تسند العمل الأدبي، وتوجهه نحو تحقيق وعي ممكن لدى الطبقة التي ينتمي إليها الكاتب، أو بالأحرى الكاتب نفسه.

إن القراءة التي قدمها **لحمداني** وعلى الرغم من أهميتها المنهجية والمعرفية في حصر قضايا الرواية المغربية ومعرفة مضامينها الاجتماعية، إلا أنها "**تتسم بالاختزال والتجزيء، والربط المباشر بين الأدب والمجتمع. فالرواية ليست أفكاراً فقط، بل هي تتعدى هذه العتبة، فهي إلى كونها منفتحة على قول شيئ معين لا تغيب الجانب الفني التخييلي والغرائبي في كثير من جوانبها التعبيرية.**"[4]

---

[1] ينظر: حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 521/520.

[2] المصدر نفسه، ص: 521.

[3] المصدر نفسه،ص: 522.

[4] محمد بنسعيد: النقد النسقي للرواية العربية، (مقال إلكتروني).

هو ما تنبه له **محمد الكتاني**، لما أبدى موقفه من البنيوية التكوينية في أنها نظرية تؤول العمل الفني بدل أن تحلله، فهي تجافي روح المعرفة الموضوعية، وأن تطبيقها يتجاهل الحدود القائمة بين الذاتي والموضوعي؛ بين المبدع ومجتمعه، وأن تخلي الروائي عن وعيه الذاتي في سبيل تبني وعي جماعي هي مرحلة متطورة يصلها المبدع عند التحامه بطبقة اجتماعية ما، فتصبح صيرورة الذاتي موضوعياً، صيرورة حتمية وآلية، وحينئذ لا نعرف أين نصنف إبداعات روائية تشذّ عن هذه القاعدة. وأنها نظرية تقوم بتهميش أنماط أخرى من الوعي لشخصيات العمل الروائي، فيكون من التحكم أن يعتبر وعي البطل وحده مقياس تأكيد النظرية، إلا إذا كان المنهج دوغمائياً*.[1]

هذه الدوغمائية التي تفطّن لها **الكتاني**، والتي يقع فيها الناقد الأدبي عندما يتحمَّس للمنهج، فلا يتبصر لسلبياته، ونلحظ أن **لحمداني** قد وقع في شرك الدوغمائية، وتطابقت دراسته النقدية لصفات الناقد الدوغمائي الذي وصفه الكتاني، بأنه "**يتعاطف مع كل عمل روائي يرفض التصالح مع الواقع، ويدين كل عمل روائي متفائل، لأن التفاؤل ليس سوى عاطفة لا مبرر لها من منظور جدلية الصراع الطبقي.**"[2]

يرى **حميد لحمداني** أن غولدمان اعتمد على حدسه الخاص في الوصول إلى البنية الدالة للعمل الأدبي، "**حتى أن القارئ لا يستطيع إطلاقاً أن يتعرف على المقاييس التي تتحكم في أسلوب اكتشاف الناقد للبنيات الدالة في العمل.**"[3] وهو ذات الحدس الذي اتبعه **لحمداني** في اهتمامه بكشف البنية الدالة في الرواية المغربية، فصرنا لا نعرف أي القراءات النقدية التي اتبعها الناقد للوصول إلى هذه البنية.

* الدوغمائية هي غياب رؤيا الآخر، أو تحجر العقل وتجمد الفكر على فكرة واحدة مركزية أو مبدأ واحد، ورفض مناقشته.

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: ج.

[2] المصدر نفسه، ص: د.

[3] حميد لحمداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، ص: 70.

في رأي آخر للناقد **إدريس الناقوري** حول الممارسة النقدية في كتابه "**الرواية ورؤية الواقع الاجتماعي**"، يقول في ذلك: "**إن الجهد العلمي الذي بذله لحمداني من أجل ربط الرواية المغربية بتربتها الاجتماعية ونسيجها المادي في سياق الجدلية التاريخية يؤكد مدى المرونة التي تعامل بها الباحث مع المنهج البنيوي التكويني الذي احتفظ، في هذا البحث، بإطاره الاجتماعي العام ورؤيته الجدلية، وتخلى، خلال التطبيق، عن مجموعة من مفهوماته الأساسية مثل الرؤية للعالم، الوعي بأنماطه، البنية الدالة، الانسجام، الكلية، التماثل، الوظيفة.**"[1]

ذلك أن **لحمداني** لم يُفصِّل – في القسم النظري من الكتاب– بالحديث عن المفاهيم التي جاءت بها البنيوية التكوينية؛ والتي تعد مفاتيح إجرائية وأساساً نظرياً للمنهج البنيوي التكويني، لذا كانت هذه المفاهيم ضبابية وموسومة بعلامات استفهامية؛ إذ لم نمتلك رؤية محددة للمنهج وإجراءاته من منظور **حميد لحمداني** لها. واكتفى بعملية تصنيفية للروايات؛ "**بضم الروايات ذات المضمون الواحد تجاه الواقع إلى بعضها بعضاً. واتخذ مصطلح (الانتقاد) بدلاً من موقف (المعارضة) التي تنتقد السلطة لا المجتمع. ولقد ميّع القضية حين حوّلها من (معارضة) إلى (انتقاد)، ومن مواجهة (السلطة) إلى مواجهة (المجتمع). ويبدو أن حذره البالغ وتحفظه أراداه على ألا يُدخل يده في النار، فآثر السلامة، عن طريق ليّ عنق الحقيقة، محققاً بذلك نصراً شخصياً له، لا للحقيقة التاريخية...**"[2]

يتوصَّل الناقد **محمد عزام** إلى حقيقة الانتماء النقدي **للحمداني**، عندما قال في كتابه (تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة): "...**والواقع إن حميد لحمداني لم يكن بنيوياً، وإنما كان تقليدياً، بدليل أنه لم يوظف مصطلحاً واحداً من مصطلحات البنيوية أو مقولاتها، بل خصص في خاتمة بحثه فصلاً لـ(قضية الشكل الفني في الرواية المغربية) صنّف فيه (أشكال) الرواية المغربية في ثلاثة أنماط، هي: الشكل التقليدي، الشكل الواقعي، الشكل**

[1] إدريس الناقوري: البنيوية التكوينية (النظرية والتطبيق في النقد المغربي)، ص: 73.

[2] محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص: 308.

الرومانسي."[1] إذ يرى **محمد عزام** أنها تصنيفات يعتمدها المنهج النقدي التقليدي لا المنهج البنيوي، "**الذي لا يعترف بالفصل بين (الشكل) و(المضمون) إذ يراهما وحدة واحدة**."[2]

يذهب **محمد عزام** إلى أن **لحمداني** أراد أن يسم دراسته بالبنيوية التكوينية تقليداً للدراسات النقدية،"**التي كانت رائجة في منتصف الثمانينات فأراد أن يطعّم بها دراسته، دون أن يبذل جهداً في التعريف بهذا المنهج النقدي الجديد: مصطلحاته، مفاهيمه، أعلامه، تاريخه.. إلخ**."[3]

يشاركه الرأي **عبد الله أبو هيف**، في قوله: "**وفي هذا المدار سنتوقف عند إلماحات أخرى نلاحظ فيه سطوة النقد الأيديولوجي الذي طوّر إلى حد ضئيل دراسة الواقع، ثم تلون في الثمانينيات بتلوينات الاتجاهات أو المذاهب النقدية الأخرى، وربما كانت دراسة حميد لحمداني، وهي بنيوية تكوينية، الأكثر اعترافاً بسياقية الجدل الروائي وسياقية الجدل الاجتماعي**."[4]

إن هاجس البحث عن المضمون، جعل **لحمداني** يقصر في الوفاء التام للمنهج الذي أعلن عنه بداية من عنوان كتابه، إذ يقدم في سياق تحليله لبطل رواية (أرصفة وجدران) لمحمد زفزاف على أنه الكاتب نفسه حين يقول: "**ولسنا في حاجة إلى التأكيد من جديد بأن البطل بومهدي يمثل آراء الكاتب وتصوراته للواقع**."[5]

---

[1] محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص: 309.

[2] المرجع نفسه، ص: 309.

[3] المرجع نفسه، ص: 309.

[4] عبد الله أبو هيف: النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م، ص: 502.

[5] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 382.

كما يقابل بين مضامين الرواية والواقع: "**لذلك فعندما نقوم بنوع من المقابلة – فيما سيأتي – بين مضمون رواية (اليتيم) وبين صورة الواقع المغربي... فإننا في الواقع إنما نقابل مضمون الرواية بإيديولوجيا البورجوازية الصغيرة نفسها.**"[1]

انطلاقاً من قول للناقد عمار بن زايد: "**إن الناقد الأدبي ينتج المعرفة، يجب أن ينتج المعرفة، ضمن سياق المنهج الذي يختاره للدراسة أو البحث، وعليه أن يلزم نفسه بآلياته.**"[2] يمكننا أن نقول أن **لحمداني** لم يلتزم بالمنهج البنيوي التكويني بصفة صارمة، بقدر ما انصرفت تفصيلاته الإجرائية إلى طرائق المنهج السوسيولوجي الكلاسيكي.

يرى **محمد عزام** أن **لحمداني** شعر بتقصيره في التنظير للمنهج البنيوي التكويني، في كتابه "**الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي**"، فأصدر كتاب "**النقد الروائي والإيديولوجيا**" سنة 1990م.[3] والذي يعد أبرز مساهمات **لحمداني** التنظيرية والتطبيقية، فصَّل الحديث فيه عن المنهج البنيوي التكويني؛ تطوره من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، والذي عالج في قسمه النظري: الإيديولوجيا في الرواية والرواية كايدولوجيا، والإيديولوجيا في الرواية بين غولدمان وباختين، والنقد الروائي الاجتماعي، وأصوله خارج العالم العربي، تطرق فيه لدور كل من باختين، وبيير زيما في بناء سوسيولوجيا النص الروائي.

لا يمكننا الحكم على المسار النقدي للناقد انطلاقاً من أولى تجاربه النقدية، ذلك أن **حميد لحمداني** قد وضع إسمه إلى جانب كبار النقاد في المغرب العربي بل وحتى على مستوى القطر العربي، نظراً لما شكلته كتبه تنظيراً وتطبيقاً من تسجيل لتحولات النقد العربي المعاصر، "**والتفاعل الايجابي في تفعيل محور المثاقفة في ميدان النقد الأدبي عموماً، والنقد الروائي على وجه الخصوص. وقد كان لكتاباته النقدية أثرها في مد النقد الروائي العربي الجديد بأدوات وإجراءات، سمحت**

---

[1] حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، ص: 336.

[2] عمار بن زايد: النص والمنهج، مجلة معارف، جامعة البويرة، الجزائر، (د.ت)، ص: 25

[3] محمد عزام: تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص: 309.

بفسح المجال أمام الدراسات النقدية للرواية، للتحرر من هيمنة منهج وحيد غطى الساحة النقدية وهو المنهج البنيوي، فباعتماده على مسعى تحديث الخطاب النقدي الاجتماعي، وفَّر للنقد العربي إمكانية أخرى تخلصه من المفاهيم الثابتة للانعكاس التلقائي والوثائقية، للصورة الاجتماعية في ثنايا النصوص الإبداعية."[1]

وهو ما تمثله كتاباته النقدية التي شكلت مستوى آخر للنضج النقدي، من بينها: بنية النص السردي، النقد الروائي والإيديولوجيا (من سوسيولوجية الرواية إلى سوسيولوجية النص الروائي)، الفكر النقدي الأدبي المعاصر (مناهج ونظريات ومواقف).

[1] عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي، ص: 392.

خاتمة

نخلص بعد هذه الجولة مع كتاب "**الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي(دراسة بنيوية تكوينية)** للناقد المغربي **حميد لحمداني** إلى تسجيل الملاحظات الآتية:

1. أنَّ جذور النقد البنيوي التكويني تمتد في تربة هيأها جورج لوكاتش، ليأتي تلميذه غولدمان ويؤسس للمنهج البنيوي التكويني بمفاهيم إجرائية: رؤية العالم، وأنماط الوعي المختلفة (الوعي القائم، والوعي الممكن، والوعي الزائف)، البنية الدالة، الكلية، البطل الإشكالي، الفهم والتفسير...
2. المنهج البنيوي التكويني أخرج النقد السوسيولوجي من محدودية الرؤية المرآوية للأدب عامة، وللرواية خاصة. لينتقل إلى رؤية أقرب للعلمية والموضوعية، ترى في العمل الأدبي والفني نتاجاً فكرياً تتماثل بنيته الفنية للبنية الاجتماعية التي يستوحي منها موضوعه.
3. يتجلى البعد التوفيقي الذي تميزت به البنيوية التكوينية كمنهج نقدي ينضوي تحت راية النقد السوسيولوجي، في محاولة الجمع بين الدراسة الداخلية للنص، والالتفات إلى المعطيات الخارجية المحيطة به، من خلال مفاهيم إجرائية دقيقة تسعى إلى رصد رؤى العالم عبر عمليتي الفهم والتفسير.
4. قدّم ميخائيل باختين نظرية نقدية تجمع بين الجانبين؛ الشكلي والإيديولوجي، ويتبنى فكرة المبدأ الحواري وينتصر له، وهو بذلك يُخرج الرواية من إطار الموقف الإيديولوجي الذي دعت له البنيوية التكوينية.
5. سوسيولوجيا النص؛ وإن لم تبتعد عن النظريات النقدية التي سبقتها في هذا المجال، إلا أنها تمكَّنت من تحويل النظرة التأويلية لسوسيولوجيا الرواية إلى نظرة تحليلية؛ فسوسيولوجيا النص الروائي تبحث في كيفية تجسُّد القضايا الاجتماعية على مستويات اللغة (الدلالية والتركيبية)، ويدعو بيير زيما إلى انفتاح النص على مجموعة من النصوص الأخرى، وهي الفكرة التي تمَّ تطويرها فيما بعد إلى نظرية نقدية تسمى بـ: "نظرية التناص".

6. سعى حميد لحمداني إلى استخلاص البنية الدالة للنصوص الروائية، ورصد الرؤى المؤطرة لها ممتثلا في ذلك المراحل التي يقترحها المنهج البنيوي التكويني؛ من تحليل وتفسير، وقد طبع ذلك الدراسة بطابع منهجي وقادها إلى نتائج ذات صبغة علمية.

7. يسجل لحمداني تفاوتا وتمايزا بين الرؤى التي توجه إليها كتاب الرواية المغربية، من رؤية تروم التصالح مع الواقع، إلى رؤية تسعى إلى تشريح الواقع دون تقديم بدائل، إلى رؤية تثور على الواقع وتسعى إلى تغييره... ويعلي من قيمة الأعمال الروائية المدروسة في الفصل الأخير، ويرى فيها تجسيدا حقيقيا للعمل الروائي الناجح.

8. لحمداني في دراسته للرواية المغربية يمتثل لمراحل المنهج البنيوي التكويني؛ من تحليل وتفسير، إلا أن المنهج عنه لا يكتمل بالمفاهيم الأخرى مثل: الوعي الممكن والوعي القائم...

9. تسقط دراسة حميد لحمداني للرواية المغربية في مطبِّ التجزيء والاختزال، الذي دفع به إلى الانتقاص من بعض الأعمال لا لشيء إلا لأنها لم تمتثل لمفاهيم المنهج المطبق، وليس من المنطق والحقيقة أن نحاكم النص على محك منهج نميل إليه.

10. يغلب على الكتاب طابع المضمونية، إذ كان لحمداني يسعى إلى رصد الأفكار والمواقف التي تجسد رؤية الكاتب الروائي للواقع، وهذا يجعل البحث أقرب إلى المنهج الاجتماعي منه إلى البنيوية التكوينية.

وفي ختام هذا البحث، نرجو أن نكون قد وُفقنا في الإلمام بجوانبه، والإجابة على الأسئلة التي تم طرحها في مقدمة البحث. وليس لنا إلا أمنية أخيرة وهي أن تكون هذه الدراسة نقطة انطلاق أبحاث أخرى، فتفتح أفقاً رحباً أمام القارئ العربي لطرد علامات الاستفهام التي كثرت حول النقد العربي الحديث والمعاصر.

فإن وُفِّقنا فمن الله وحده وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر:

1. حميد لحمداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985م.

المراجع العربية:

2. إبراهيم عبد العزيز السِّمري: إتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربي، القاهرة، ط1، 2011م.

3. أحمد اليبوري: في الرواية العربية (التكوّن والاشتغال)، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م.

4. جابر عصفور: نظريات معاصرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ط)، 1998م.

5. جمال شحيّد: في البنيوية التكوينية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2013م.

6. حبيب مونسي: نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي (دراسة في المناهج)، دار الأديب، وهران، الجزائر، 2007م.

7. حميد لحمداني:

أ- الفكر النقدي الأدبي المعاصر (مناهج ونظريات ومواقف)، مطبعة انفو-يرانت، فاس، المغرب، ط3، 2014م.

ب- النقد الروائي والإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م.

8. سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2006م.

9. صلاح رزق: أدبية النص (محاولة لتأسيس منهج نقدي عربي)، دار غريب، القاهرة، 2002م.

10. عبد العزيز حمودة: المرايا المحدَّبة (من البنيوية إلى التفكيكية)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998م.

11. عبد الله أبو هيف: النقد الأدبي العربي الجديد في القصة والرواية والسرد، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م.
12. عبد الوهاب شعلان: المنهج الاجتماعي وتحولاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008م.
13. فيصل درّاج: نظرية الرواية والرواية العربية، ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999م.
14. كامل محمد محمد عويضة: هيجل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.
15. محمد الصالحي: قنديل أم هاشم (قراءة وتحليل)، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1995م.
16. محمد خرماش: إشكالية المنهج في النقد الأدبي المعاصر، أنفو- برنت، فاس، المغرب، ط1، 2001م.
17. محمد عزام: تحليل الخطاب الروائي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 2003م.
18. محمد نديم خشفة، تأصيل النص (المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان)، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1997م.
19. نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، دار نوبار، القاهرة، ط1، 2003م.
20. نجيب العوفي: أبراج المدينة (بين تداعي اللغة وتداعي الوعي) درجة الوعي في الكتابة، دار النشر المغربية، 1980م.

المراجع المترجمة:

21. بيير زيما: النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع للنص الأدبي، تر: عايدة لطفي، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1991م.
22. تزفيطان تودوروف: ميخائيل باختين والمبدأ الحواري، تر: فخري صالح، دار الفارس، عمان، الأردن، ط2، 1996م.
23. جورج لوكاتش: دراسات في الواقعية، تر: نايف بلوز، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1985م.

24. عبد الله العروي: الإيديولوجية العربية المعاصرة، تر: محمد عيتاني، دار الحقيقة للطبع والنشر، بيروت، ط1، 1970م.
25. لوسيان غولدمان وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر: محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط2، 1986م.
26. لوسيان غولدمان وآخرون: مقدمات في سوسيولوجية الرواية، ، تر: بدر الدين عرودكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1993م.
27. لوسيان غولدمان: الإله الخفي، تر: زبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، (د.ط)، 2010م.
28. ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1987م.
29. هنري أرفون: الجمالية الماركسية، تر: جهاد نعمان، منشورات عويدات، بيروت، 1982م.

المجلات والدوريات:

30. أحمد استيرو: علم الاجتماع والنقد الأدبي، مجلة علامات، جدة، المملكة العربية السعودية، العدد: 39، (د.ت).
31. إدريس الناقوري: البنيوية التكوينية (النظرية والتطبيق في النقد المغربي)، مجلة فكر ونقد، السنة الأولى، عدد السادس، يناير 1998م.
32. آزاده منتظرى، ومحمد خقاتي، ومنصورة زركوب: النقد الاجتماعي للأدب نشأته وتطوره، مجلة إضاءات نقدية، العدد: 06، السنة: 02، حزيران 2012م.
33. باسم صالح حميد: النزعة الحوارية في الرواية، مجلة علامات، ج51، م13، مارس 2004م.
34. عبد السلام بن عبد العالي: سوسيولوجيا الأدب عند لوسيان غولدمان، مجلة أقلام، عدد 4 فبراير 1977.
35. عمار بن زايد: النص والمنهج، مجلة معارف، جامعة البويرة، الجزائر، (د.ت).
36. محمد مريني: خطاب ما بعد البنيوية في النقد المغربي الحديث (في التنظير والإنجاز)، عالم الفكر، الكويت، العدد: 04، المجلد: 35، أبريل-يونيو 2007م.

37. منيرة شرقي: المبدأ الحواري عند ميخائيل باختين، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، لبنان، العدد الثالث، سبتمبر 2014م.

الرسائل الجامعية:

38. سليم بركان: النسق الإيديولوجي وبنية الخطاب الروائي، مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2003م/2004م.

39. عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي (دراسة مقارنة للنقد الجديد في فرنسا وأثره في النقد الروائي العربي من خلال بعض نماذجه)، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005م/2006م.

40. معجب بن سعيد الزهراني: نحو التلقي الحواري (مقاربة لأشكال تلقي كتابات ميخائيل باختين في السياق العربي)، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، 2002م.

الملتقيات:

41. سليم بركان: النقد السوسيوبنائي في الجزائر، حوليات الآداب واللغات (أعمال الملتقى الوطني الأول حول النقد الجزائري 22/21 ماي 2006م)، جامعة المسيلة، الجزائر، العدد الثاني، ديسمبر 2013م.

42. محمد بن مالك: اللغة ورؤية العالم في الخطاب الروائي، الملتقى الوطني الأول حول اللسانيات والرواية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 23/22 فيفري 2012م.

المواقع الإلكترونية:

43. محمد بنسعيد: النقد النسقي للرواية المغربية، مدونة المظلة (إبداع ونقد)، إسم المدوّن: laghtiri 1965، المغرب، 13 ديسمبر 2010م، سا: 09:33،
http://laghtiri1965.arabblogs.com/archive/2010/12/1303700.html

الملاحق

❖ **المؤلفات المنشورة:**

2. "من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية (رواية المعلم علي نموذجاً)"، منشورات الجامعة، الدار البيضاء، المغرب، **1984**م.
3. "الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي"، دار الثقافة الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، **1985**م.
4. "في التنظير والممارسة دراسات في الرواية المغربية"، منشورات عيون، الدار البيضاء، المغرب، **1986**م.
5. "أسلوب الرواية (مدخل نظري)"، منشورات دراسات سال، **1989**م. (دراسة نقدية).
6. "سحر الموضوع"، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، المغرب، **1990**م. (دراسة نقدية).
7. "النقد الروائي والايديولوجيا (من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجية النص الروائي)"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، **1991**م. (دراسة نقدية).
8. "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، **1991**م. (دراسة نقدية).
9. "النقد النفسي المعاصر (تطبيقاته في مجال السرد)"، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، المغرب، **1991**م.
10. كتابة المرأة من المونولوج إلى الحوار، الدار العالمية للكتاب، البيضاء **1993**م.(دراسة نقدية).
11. "الواقعي والخيالي في الشعر العربي القديم دراسة نقدية (العصر الجاهلي)"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، **1997**م.
12. "النقد التاريخي في الأدب رؤية جديدة"، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، **1999**م.
13. "القراءة وتوليد الدلالة"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، **2003**م.
14. "الترجمة الأدبية التحليلية (ترجمة شعر بودلير نموذجاً)"، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس، **2005**م.
15. "الفكر النقدي الأدبي المعاصر(مناهج ونظريات ومواقف)"، منشورات مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة، كلية الآداب، بروتارس**3**، **2009**م.

❖ **الأعمال المشتركة:(اشترك الباحث في تأليفها مع مجموعة من الباحثين):**

1. "الكتابة النقدية عند حسن المنيعي"، منشورات اتحاد كتاب المغرب، **2005**م.
2. "الهوية القومية في الأدب العربي المعاصر"، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، **1999**م.
3. "محمد الكتاني منظومة جدلية"، صدر عن كلية الآداب، تطوان، المغرب، **1999**م.
4. "الحركات النسائية الأسس والتوجهات"، منشورات مركز الدراسات النسائية حول المرأة، كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس، المغرب، **1999**م.
5. "المناهج المعاصرة في الدراسات الأدبية"، منشورات وحدة النقد الأدبي المعاصر مناهجه وقضاياه، كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس، المغرب، **1999**م.
6. "قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية"، منشورات كلية الآداب، مكناس، وكلية الآداب ظهر المهراز، فاس،(معهد الدراسات المصطلحية)، **2000**م.
7. "محمد حسن عبد الله"، رؤى بأقلام نخبة من الكتاب، منشورات جامعة القاهرة، **2001**م.
8. "النقد الأدبي بالمغرب:مسارات وتحولات"، منشورات رابطة أدباء المغرب، **2002**م.
9. "محمد زفزاف الكاتب الكبير"، منشورات رابطة أدباء المغرب، مطبعة المعارف الرباط، **2003**م.
10. "الكتابة الأدبية عند عبد الكريم غلاب"، منشورات وحدة التكوين والبحث:الاتجاهات الفنية في الأدب العربي الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، **2003**م.
11. "النص الأدبي بين الواقع و المتخيل"، منشورات وحدة النقد الأدبي الحديث والمعاصر،كلية الآداب، ظهر المهراز، فاس، المغرب، **2003**م.
12. "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، أوراق الندوة الدولية في الموضع، تنظيم ونشر جامعة أل البيت في مجلَّدين، **2006**م.
13. "الترجمة في الدول العربية أهميتها ودورها في التواصل الحضاري بين الأمم"، في جزئين، جامعة تشرين وزارة التعليم العالي، الجمهورية السورية، **2006**م.
14. "رهانات الكتابة الروائية بالمغرب"، أعمال ندوة بنفس العنوان سنة: **2000**م، صدر الكتاب عن كلية الآداب، مكناس، المغرب، **2008**م.

15. "قضايا أدبية"، نشر عن مختبر اللغة والتواصل وتقنيات التعبير، كلية الآداب سايس، طُبع عن عالم الكتب الحديث، الأردن، **2010**م.

❖ **الأعمال المترجمة:**

1. كتاب"معايير تحليل الأسلوب"ميخائيل ريفاتير، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، المغرب، **1993**م، (ترجمه عن الفرنسية).
2. كتاب "الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة"مارسيلو داسكال، ترجمه بالاشتراك مع مجموعة من الأساتذة، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، **1987**م، (ترجمه عن الفرنسية).
3. كتاب "فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب" فولف غانغ إيزر، ترجمه بالاشتراك مع د.الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، **1995**م، (ترجمه عن الانجليزية).
4. كتاب "التخييلي والخيالي" فولف غانغ إيزر، ترجمه بالاشتراك مع د.الجلالي الكدية (ترجمه عن الانجليزية).

❖ **الأعمال الإبداعية:**

1. دهاليز الحبس القديم (رواية)، ط**1**: **1979**م، ط**2**: دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، **1985**م.
2. "صباح جميل في مدينة شرقية" (قصة)، مجلة الزمان المغربي، ربيع**81**، عدد**7**،**1981**م.
3. "رحلة خارج الطريق السيَّار" (رواية حاصلة على جائزة الرواية العربية من عمان، الأردن)، منشورات مجلة علامات، ط**1**، **2000**م.

أحادية الصوت Univocité

استلاب Aliénation

الإنعكاس Reflet

إيديولوجيا Idéologie

الإيهام Illusion

البيليوغرافيا Bibliographie

البطل الإشكالي Héros Problématique

البنية الدالة structure significative

البنية السطحية Structure de Surface

البنية العميقة Structure de profonde

البنيوية التكوينية Structuralisme Génétique

التحليل Analyse

تعدد الأصوات Polyphonie

التفسير Explication

التماسك Cohérence

التناظر Istopie

الجمالية Esthetisme

الحوارية Dialogisme

الرواية Roman

رؤية العالم Vision du monde

سوسيو بنائي Socio-structural

السياق Context

الشمولية Ethaustivité

صراع إيديولوجي Conflit Idéologique

الكلية Totalité

اللحظة التاريخية Moment Historique

المادية الجدلية Matérisme Dialectique

المضمون Contenu

المناجاة Soliloque

المنهج Méthode

الموقف Situation

النسق Système

النظرية Théorie

النمطية Modalité

الوعي الممكن Conscience Possible

الوعي جماعي Conscience Collective

الوعي الزائف Conscience fausse

الوعي القائم Conscience Réelle

الصراع Conflict

تم بحمد الله

الملخص:

ليس بإمكان أحد إنكار العلاقة الرابطة بين الأدب والمجتمع والحياة الاجتماعية، وعلى هذا الأساس؛ عمل التنظير النقدي على الكشف عن طبيعة هذه العلاقة وتفسيرها بمفاهيم وأدوات، بهدف ولوج عالم النص الأدبي وفهمه.

توجّه النقد السوسيولوجي في محاولة لدمج المنهج اللغوي بالمنهج الاجتماعي، وجمع النسق بالسياق، إلى وضع نظرية نقدية عُرفت بإسم: "البنيوية التكوينية"، الذي أوضح معالمها لوسيان غولدمان بمجموعة من المفاهيم الإجرائية استلهمها من أستاذه جورج لوكاتش المؤسس الحقيقي لسوسيولوجيا الرواية، منها: رؤية العالم، الوعي الممكن والوعي القائم والوعي الزائف، التماثل والتناظر، الفهم والتفسير...

تتناول هذه الدراسة مبحثاً في نقد النقد، موسومة بعنوان: "**النقد السوسيولوجي بين النظرية والتطبيق عند حميد لحمداني، من خلال كتابه: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)**".

حاولنا من خلالها تسليط الضوء على تحولات النظرية السوسيولوجية للأدب، انطلاقاً من البدايات الأولى لسوسيولوجيا الرواية مع لوكاتش، مروراً بالبنيوية التكوينية عند لوسيان غولدمان، ثم حوارية باختين، وصولاً إلى سوسيولوجيا النص عند بيير زيما.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن تطبيقات البنيوية التكوينية على النص الروائي المغربي عند **حميد لحمداني**، ومدى توفُّقه في ذلك.

Résumé:

La littérature et la vie sociale entretiennent entre elles une relation étroite qu'on ne peut nier . A partir de cela la théorie critique a œuvré à mettre en évidence la nature cette relation et à l'expliquer à l'aide de concepts et d'outils afin de pénétrer le monde du texte littéraire et sa compréhension.

La critique sociologique a tenté d'intégrer l'approche linguistique à l'approche sociologique en liant le texte à son contexte pour aboutir à une théorie critique connue sous le nom de l'approche Structuralisme Génitique et dont les fondements ont été mis en évidence par Lucien Goldman à l'aide d'un ensemble de concepts opérationnels inspirés de son professeur George Lucas tels que la vision du monde , la conscience possible, la conscience réelle, la conscience fausse, la ressemblance, la symétrie, la compréhension et l'explication…

Notre étude a porté sur la Mita-critique, et nous avons fait de la critique du roman notre domaine de recherche dont le titre est la critique sociologique entre la théorie et la pratique chez Hamid Lhamidani à travers son livre : **Le roman maghrébin et la vision de la réalité sociale, étude Structuralisme Génétique.**

Nous avons essayé à travers cette étude de mettre la lumière sur les transformations théoriques, sociologiques de la littérature depuis Lucas en passant par la Structuralisme Génitique chez Lucien Goldman, puis l'école discursive de Bakhtine et enfin la sociologie textuelle de Pierre Zima.

Cette étude vise à mettre au jour les applications de l'approche Structuralisme Génitique sur le texte romanesque maghrébin chez **Hamid Lhamidani** dans son œuvre citée plus haut.